المجلد ٧٠

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد التاسع ـ المجلد السبعون ـ ربيع الأول
ربيع الثاني ١٤٤٦هـ ـ سبتمبر ـ أكتوبر ٢٠٢٤م

- أزهار الربيع كيف ينبغي أن نجنيها ؟ (افتتاحية العدد)
- الإسلام مستهدف لحركات الإبادة العالمية
- ربوبية الله تعالى والتركيز على الآخرة
- محبة النبي صلى الله عليه وسلم
- هل ذهبت عزتنا ؟
- رعاية الله للمرأة على تداول الأزمان
- قضايا مستجدة حول نفقة المطلقة
- الآداب الهندية في ضوء التاريخ
- الحارث المُحاسبي ومحمد الغزالي
- فأما الزبد فيذهب جفاء

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧٠

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

سبتمبر – أكتوبر ٢٠٢٤م

Sep, Oct, 2024

العدد التاسع – المجلد السبعون – ربيع الأول – ربيع الثاني ١٤٤٦هـ – سبتمبر – أكتوبر ٢٠٢٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحي الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد التاسع – المجلد السبعون – ربيع الأول – ربيع الثاني ١٤٤٦هـ – سبتمبر – أكتوبر ٢٠٢٤م

❖ **الافتتاحية :**

أزهار الربيع كيف ينبغي أن نجنيها ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

الإسلام مستهدف لحركات الإبادة العالمية — الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي — ٩

ربوبية الله تعالى والتركيز على الآخرة — الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٢

نجاة المؤمنين : دراسة علمية في ضوء حديث : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة — العلامة الشيخ السيد محمد علي المونكيري رحمه الله — ١٥

❖ **الدعوة الإسلامية :**

محبة النبي صلى الله عليه وسلم — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٢٠

رعاية الله للمرأة على تداول الأزمان — الدكتور غريب جمعة — ٢٤

هل ذهبت عزتنا ؟ — الدكتور أشرف شعبان — ٣٣

ملامح العلاج بالقرآن في التأثر به وقبول الدعوة إلى الله — الدكتور محمد نعمان حسن المدني — ٤١

❖ **الفقه الإسلامي :**

قضايا مستجدة حول نفقة المطلقة — د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٤٩

❖ **دراسات وأبحاث :**

الخروج عن الأصل المعتاد لدى علماء العربية وأثره في اللغة العربية — الأستاذ محمد أبو طه المكي — ٥٥

تجربتي في تعلم وتعليم اللغة العربية — أ . د . محمد أيوب الندوي — ٦٢

مراحل الشعر العربي حسب تدوين علم العروض — الدكتور محمد سعود الأعظمي الندوي — ٦٧

الآداب الهندية في ضوء التاريخ — الدكتور محمد سليم أختر الندوي — ٧٣

❖ **أدب الرحلات :**

رحلة إلى الأردن : بين المقدسات والمعالم — الأخ السيد عبد العلي الحسني الندوي — ٧٨

❖ **رجال من التاريخ :**

الحارث المُحاسبي ومحمد الغزالي — الدكتور صالح العَوْد — ٨٣

الشيخ أبو بكر الصديقي الفرفروي : حياته وأعماله الدينية — الأخ محمد أبو الكلام لشكر — ٨٥

❖ **بأقلام الشباب :**

مكانة الإمام أبي حنيفة في علم الحديث — الأخ محمد روح الأمين — ٨٩

الشيخ سعيد الكرياسني : رجل في أمة — الأخ محمد جاويد الكرياسني — ٩٤

❖ **صور وأوضاع :**

فأما الزبد فيذهب جفاء — محمد فرمان الندوي — ٩٥

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. الدكتور الشهيد إسماعيل هنية إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

٢. المفتي شكيل أحمد السيتافوري في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٣. والد الأستاذ السيد هاشم نظام الدين الندوي الباتكلي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٤. والدة الأستاذ زبير أحمد الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٥. الأستاذ عبد الرحيم الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

٦. الأستاذ إكرام الدين في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أزهار الربيع كيف ينبغي أن نجنيها !

إن الله سبحانه قد أودع في كل لمحة من لمحات سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أسوةً حسنةً لكل من يبحث فيها عن مفتاح السعادة الدائمة في جميع الأحوال والأزمان ، ولا يعرف للشقاء معنى في أي شأن من القوة والضعف ، ومن الصحة والمرض ومن الفقر والغنى ، بل يعتقد من أعماق قلبه أن هذه الأسوة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمرة بكل قوة ، وتيارها سار في جميع عروق القلب والجسم يكهرب الحياة والمجتمع بإيمان يتجدد مع كل لحظة ، وبعلاقة تتوطد في كل حين ، مع شهادة الوحدانية والرسالة التي يتمتع بها كل فرد من أفراد الأمة ، وتحث بني آدم جميعاً على الحصول على هذه الشهادة الغالية التي تنفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وقد شهد الله سبحانه بصيغة التأكيد بأنه على خلق عظيم (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ، فكان ذلك شهادة من السماء لأهل الأرض جميعاً ، وإشارة إلى أن الإنسان مهما كان لا يتمتع بحلية الإنسانية ما لم تتحلّ حياته بالخلق العظيم الذي ليست بعده فضيلة ولا كرامة .

وعلى ذلك كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم قاعدةً صلبةً للشريعة الإسلامية التي أنزلت على الإنسان والكون بصفة دائمة لا يعتريها تغيير أو تطوير ، ولا يستغني عنها العالم البشري في أي عصر ومصر ، وقد أكملها الله سبحانه وتعالى وأتم نعمتها على عباده ، فكانت شريعة خالدة باقية نامية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، تنزيل من حكيم حميد .

ومن ثم كانت الأمة المسلمة مسئولةً عن تمثيل هذه السيرة الحسنة في جميع شئونها وأعمالها ، وكان على المرء المسلم أن يعيش هذه السيرة المثالية ويطبقها على الحياة حتى تكون حياته أنموذجاً كاملاً لغيره من أفراد البشر والأمم والشعوب التي لا تعرف عنها ، سوى أنها لا تتفق وطبيعة العصر الحديث ، وأنها تبلغ من القدم والبلى إلى ما تأباه الفطرة

وترفضه العصرنة التي هي علامة حضارة الإنسان اليوم .

الأمة الإسلامية حينما تستقبل شهر الربيع كل عام ، فهي تجدد العهد بالإيمان والحب والطاعة ، وتقر بأنها لا تزال على ذكر من ذلك العهد الذي تعاهدنا به مع الله سبحانه ورسوله بالدعوة إلى هذا الدين وإبلاغه إلى جميع أنحاء العالم بوسائل العلوم والمعارف ، وصالح الأعمال وأمثل النماذج الإيمانية ، وذلك هو العمل المستمر الدائم والمسئولية الكبرى القائمة التي تواصل المؤمن ليل نهار من غير انقطاع للحظة ما ، وليس هو ما يزعمه الناس من أن يباشروا بالعمل الدعوي وتذكير الناس بصلتهم بالدين وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاحتفال بتعظيمه والإشادة بالشهر الذي بعث فيه رسول الإنسانية وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، ويتظاهروا في هذا الشهر كله أو بعضه بصلتهم برسول الله والعمل بما جاء به من عند الله .

كلا ! ليس هذا الدين معبراً ننتقل عن طريقه من جانب إلى جانب ، وليس جسراً نستخدمه متى نشاء للعبور من بلد إلى آخر ، إنما هو دستور للحياة والكائنات كلتيهما ، دستور يخلد مع كل واحدة منهما ، ولا يسمح لأي واحد بالخروج عنه ولو لوقت قليل ، وإنما هو القاعدة الثابتة الراسخة لكل مَن وما في هذا الكون من خلق ، لا الإنسان وحده ، بل الكائنات كلها مما خلقه سبحانه وتعالى من ذوي العقول الظاهرة والكامنة كل ذلك خاضع لهذا الدستور الدائم الخالد ، من غير تعطل وتخلل ، أو تحيل بحيلة ، إنه يتفق مع كل شيئ في جميع الأحوال والشئون التي تفصلها تعاليم النبوة على صاحبها ألف ألف تحية وسلام ، ومن ثم كان للتفقه في الدين درجة عالية عظيمة أُوتيها علماء هذا الدين وفقهاؤه ، وأصحاب الدعوة إليه من الرجال والنساء ، فقد كان طلب العلم فريضةً على الجميع ليتمكنوا من إدراك أسرار السعادة والنصح والخير والإحسان ، ويعملوا بها في جميع الأعمال والأحوال ، وينفذوها في السلوك والأخلاق ، يقول الله تعالى في كتابه العظيم : (فَلَوْلَا نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ، يقول الإمام الشيخ ولي الله الدهلوي : يجب أن يوجد في كل فرقة طائفة لكي يعكفوا على الجلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه ،

ويتعلموا الدين وعلومه ويعلموها الآخرين ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس موجوداً في عالمنا هذا ، ولكن العلوم الدينية قائمة وعلماء الدين موجودون ، لذلك فإن طلب العلم فرض كفاية على أفراد الأمة ، كما يقول أبو حيان ويصرح : " بأن هذه الآية ليست إلا لطلب علم الدين " .

فالتفقه في الدين أمر من الله سبحانه وتعالى لا يستغني عنه المسلم ، وليس من الواجب أن يتابع دراسته والتعمق في تفهم الدين بالالتحاق بالمدارس والجامعات إذا كان يتحقق هذا الغرض من خلال مجالس العلماء والتعلم منهم أمور الدين من الفرائض والواجبات والمستحبات والنوافل ، والتأكد من أن هذا الدين إنما هو الملجأ الأول والأخير لكل إنسان مهما كان ، وبه وحده يستطيع أن يؤدي واجبه ويوطد صلته بالله تبارك وتعالى وبرسوله خاتم النبيين ، واتباع سيرته في كل صغير وكبير ، وبذلك يتأدى الواجب الديني ويتمتع المرء بربيع الإنسانية الذي أنزله الله تعالى بولادة ووجود رسول العالم البشري بعد جفاف طويل ، امتد إلى أكثر من خمسة قرون ونصف قرن ، وبعد ما كان الزرع الإنساني يعاني من الجدب والسنين ، وكان العالم البشري يعيش اليأس من مستقبله ، الأمر الذي أنتج حروباً طائفيةً ، وجرائم خلقيةً ، وقتالاً وخناقاً ووأداً ، وطرائق قدداً من العذاب النفسي والجوع والفقر والشقاء ومن الهموم والأحزان ما لا يأتي عليه الحصر .

أما اليوم فإن العالم وإن كان قد تطور كثيراً في جميع مرافق الحياة ، واستطاع الإنسان المعاصر أن يأتي بما يشبه معجزةً في العلوم والصناعات ، وفي إيجاد التسهيلات من كل نوع وفي كل مجال ، فكل ذلك كان نتيجةً لذلك النظام الكوني الذي أغدق به الله تعالى على الكائنات لبناء المستقبل الذي يواجهه الناس في تيسير الوسائل التي تتطلبها الحضارات الإنسانية في سبيل البلاغ الدعوي ، والتوجيه الديني ، إذن ليس ما نراه اليوم من التطورات العلمية إلا طريقاً إلى إبلاغ صوت الدين بسرعة وتأثير أكثر رغم المسافات البعيدة التي يعيش فيها المجموعات الإنسانية وتتمتع بكل وسيلة من الوسائل المدنية والأسس الإنسانية التي تجعل العالم كله كقرية واحدة ، وما ذلك إلا عكساً من

المنن التي أفاضها الله سبحانه على العالم البشري عن طريق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فمهما تطورت الحياة وتعانق الناس في المرافق والحاجيات إلا أن الاستغناء عن أداء الحقوق التي تتولاها فطرة الإنسان للإنسان وفطرة الله التي فطر الناس عليها لن يتيسر من غير شعور بحق الله تعالى على الخلق وحقوق الخلق التي قررها رب الخلق والكون على نفسه هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، فكم من الناس من يتمتعون بمثل هذا الشعور بعمق ودقة ، وإيمان كامل بالربوبية الدائمة القائمة في جميع لحظات الحياة وشئونها في عالمنا اليوم !

فلا نكاد نتبرأ عن مسئوليتنا بمجرد الثناء على هذه السيرة المباركة وتلاوة آيات من كتاب الله تعالى في المناسبات ، بل الواقع أننا مخطئون في تقدير صلتنا بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، إنها ليست سيرة فقط ، وإنما هي أسوة حسنة بصفة مستمرة خالدة ، نتصل بها باستمرارية كاملة ودوافع الاتباع الكامل بصورة واقعية عملية نموذجية مثالية ، وإيمان شامل ، وذكر دائم متتابع (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً) .

ألم يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يعلن في الناس بصراحة عن حقيقة محبة الله تعالى التي لا تتحقق من غير اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يتوافر الحب الصادق المتبادل بينه وبين عباده المخلصين ، وتسنح الفرص لتطبيق تعاليم الكتاب على الحياة والمجتمع ، وتنفيذ توجيهات السنة المطهرة في حياة الفرد والجماعة . (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً) . (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٦/٢/١٥هـ

٢٠٢٤/٨/٢١م

الإسلام مستهدف لحركات الإبادة العالمية *

الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين محمد ، وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

سادتي وإخواني !

يعلم المطلع على تاريخ الإسلام والمسلمين ، بل على تاريخ العالم أن المسلمين ؛ وبالأصح الأمة الإسلامية والدين الإسلامي استُهدفت لحركات الإبادة ، ومحاولة القضاء على الكيان الإسلامي ومستقبله ، ولكن كان ذلك بشكل عام عن طريق الهجمات العسكرية ، والزحف العسكري ، وكان من أشدها الهجوم التتاري الذي كان يهدف إلى قطع دابر المسلمين والقضاء على دولهم ، وحكوماتهم ، وقوتهم العسكرية ، وكانت غارة شعواء قطعت الرجاء والأمل في إحباط هذه الجهود المدمرة ، والحروب المستأصلة حتى كان من الأمثال السائرة ، " إذا قيل لك : إن التتر انهزموا فلا تصدق " وكان يليه في الخطر والعنف الهجوم الصليبي وإن كان سابقاً على الهجوم التتاري زمناً ؛ الذي اشتركت فيه الدول الأوربية ، والقيادات العسكرية ، والدوافع الدينية ، والسياسية . وكان من أهدافها الاستيلاء على المقدسات الإسلامية ، والمراكز الدينية الرئيسية . ولكن من الحقائق التاريخية الخارقة للعادة والبعيدة عن القياس والتقدير السابق أن كلتا الغارتين الرهيبتين فشلتا في تحقيق غاياتهما ؛ وذلك لنصر الله للمسلمين ، وتهيئة أسبابه بتوفيقه لاجتماع كلمة الدعاة الربانيين المخلصين الذين أخضعوا التتار رغبةً لا رهبةً للدخول في الإسلام ، فأسلم التتار عن بكرة أبيهم ، ووُفقوا لإنشاء حكومات إسلامية قوية واسعة ، واحتضان الحضارة الإسلامية ، والعلوم

* محاضرة ألقاها الإمام الندوي رحمه الله في الجلسة الاستثنائية لرابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٥ هـ المصارف ١٩٩٤م .

الدينية ، والسيرة الإسلامية ، وأما ما يتصل بالهجوم الصليبي فكان من لطف الله تعالى ونصره للإسلام أن قيض لإخفاق هذه الغارة ومراميها وجهودها الملك الصالح المجاهد صلاح الدين الأيوبي " وما حديث حليمة بسر " .

ولكن مع وجود هذه الحقائق كان من أسباب إخفاق هذه الجهود المدمرة المعادية للإسلام : أنه لم يكن عند قادة هذه الهجمات مخطط عقلي عميق وأهداف تطويرية تحويلية ، إنما كانت محاولات عسكرية يدفع إليها ، ويغري بها حب الاستيلاء العسكري ، وبسط الحكم السياسي .

ولكن الواقع الرهيب الذي نواجهه ونشعر بخطره على وجود الإسلام والمسلمين كأمة ذات رسالة وعقيدة ودعوة وشرف وحرية ، هو أن الذكاء اليهودي والشطارة اليهودية ومراميها لبسط نفوذها على العالم وتحويل العالم كله – بما فيه من عقائد ، وآداب ، وحضارات ، وقيم ، ومعايير – إلى بساط للشطرنج يلعبون عليه بحرية ، ويستطيعون تحويل ما عليه من دمى ولعب ، من جانب إلى جانب آخر ، ومعاملة الجيل البشري بكل ما فيه من علماء ، وعقلاء ، وأدباء ، ومفكرين ، ومؤلفين إلى جيل خاضع للنفوذ اليهودي خضوع الدواب والجمادات ، وهذا ما جاء صريحاً وواضحاً في كتب اليهود ، وكتاباتهم [1] ، يعرفها المطلع على كتبهم ، ومخططاتهم ، ومطامعهم ، وبرامجهم ، التقى هذا الذكاء الذي يعرف به اليهود قديماً ، واستباحتهم لكل منكرٍ ومستهجن في سبيل تحقيق غاياتهم . وقد أشار إليه القرآن الكريم إشارةً لطيفةً ، وجاء ذلك صريحاً في الكتب التي نشرت عن أهداف الصهيونية ومراميها أخيراً ، التقى هذا الذكاء والتخطيط الرهيب الدقيق المبيد للفضائل الإنسانية ، ومساعي الأنبياء والمصلحين ، وتعليمات الدين ، مع القوة المسيحية ووسائلها وإمكانياتها رغم وجود أكبر تناقض في الديانتين ، فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح ابن الله ، واليهود يتهمونه وأمه وينسبون إليهما ما

[1] ليرجع للتفصيل كتاب " بروتوكولات حكماء صهيون " وكتب أخرى في الإنجليزية وغيرها بقلم الكتاب اليهود والمسيحيين .

يعلمه الجميع .

وقد احتضنت ذلك ، وتبنته بعض الدول المسيحية الغربية وعلى رأسها الحكومة الأمريكية ، وذلك بانخداع أكثرها ، ووقوعها فريسة للنفوذ الإسرائيلي المهيمن على السياسة ، والصحافة ، والآداب ، ووسائل الإذاعة في أمريكا وخارجها ، فأصبح ذلك محاولة إبادة معنوية خلقية عقائدية بالنسبة للمسلمين بصفة خاصة ؛ لأنهم هم وحدهم أصحاب دين خالد عالمي قوي ، وأصحاب حكومات كثيرة ، ولا يزالون أصحاب قوة إيمانية ، ودوافع إصلاحية ثورية ، فكانوا هم الخطر الأكبر على هذا المخطط اليهودي المسيحي ، وعائقاً أكبر في سبيل تحقق أماني اليهود ونجاحها .

وكان من ضمن تلك الجهود والمؤامرات والمخططات القضاء على قوة المسلمين الإيمانية والمعنوية ، وفي مقدمتها محاولة القضاء على شخصية الأمة الإسلامية المميزة ورسالتها بالدعوة إلى التجرد من المبادئ الدينية ، والقيم الخلقية ، والميزات الإيمانية ، فتعيش حياة جاهلية كالجاهلية الأولى ، أو كحياة الدواب ، والأنعام في غابة أو صحراء .

ثم استعانت أخيراً بالدعاة ضد " التنمية " التي عرف بها المسلمون بصفة خاصة بفضل تعليماتهم الدينية الطبعية ، ويشكلون بذلك خطراً على الجبهة المعادية لهم ، والقوة العمرانية ، والمدنية والعسكرية ضد الجبهة اليهودية ، والمسيحية . فبدأت بعض القيادت المتآمرة والمؤتلفة ضد مستقبل الإسلام والمسلمين وقوة المقاومة التي يملكونها بإقناع بعض الحكومات الإسلامية ، والقيادات المسلمة بوضع العوائق والعراقيل في سبيل التنمية في الأقطار الإسلامية بطرق غير طبيعية ، وغير شرعية ، وغير خلقية ، هذا إلى غير ذلك من المخططات والمؤامرات الدقيقة التي تُحاك للتخلص من نفوذ المسلمين المعنوي ، والعددي ، والمبدئي ، والعقائدي .

فليكن المسلمون بصفة عامة والحكومات والقيادات المسلمة بصفة خاصة على حذر من هذه المؤامرات والمخطط التدميري ، ويكونوا على بينة من الأمر . ولله الأمر من قبل ومن بعد . وما علينا إلا البلاغ .

ربوبية الله تعالى والتركيز على الآخرة

عاقبة الكافرين :

(وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً . وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً . ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً) [الكهف : ٩٩ – ١٠١] .

ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه إذا نُفخ في الصور جمع الله جميع الخلائق ، وأتى بالنار أمام الكافرين ، وقيل لهم : هي مثواكم خالدين فيها أبداً ، فإن ما عملتم في الدنيا من عمل يعطى جزاؤه في صورة جهنم ، فإن أعينكم كانت مطبقة عن ذكر الله تعالى ، فلا تنظرون إلى أحكام الله تعالى ، ولا تسمعون كلامه ، كأنكم حُرمتم صلاحية الأخذ والقبول ، وقد ذُكِّرتم مراراً وتكراراً ، لكنكم ما أطعتم ، وما استسلمتم لأمر الله تعالى .

ربوبية الله تعالى :

(أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً) [الكهف : ١٠٢] ، يقول الله في هذه الآية : هل اعتقد الكافرون العباد الذين خلقهم الله أولياء وآلهة ، وهل يظنون أنهم يكملون حوائجهم ، فليعرفوا أننا أعتدنا للكافرين جهنم نزلاً ، هؤلاء هم الذين يكفرون بوحدانية الله تعالى وملكوته ونعمه ، فإن مأواهم جهنم خالدين فيها أبداً .

فالله سبحانه تعالى هو القادر والمتصرف في هذا الكون ، وهو الذي خلق كل شيئ ، فهو يسير حسب نظامه الطبيعي ، فالذين لا يؤمنون بهذه الحقيقة يكون لهم صراع دائماً مع أهل الحق ، فوردت أمثلة كثيرة في القرآن والسنة تذكيراً بهم ، ويتضح منها أن الأمر كله لله تعالى ، ولم يخلق الله الدنيا للنزهة والتسلية ، بل خلقها لاختبار أعماله وحياته ، فإذا عمل الإنسان فيها عملاً حسناً ، وآمن بالله كرب وخالق له

كان جزاؤه في الآخرة أحسن وأطيب .

مطالبة الإيمان بالغيب :

الإيمان بالله هو الإيمان بوحدانية الله تعالى ، والإيمان برسوله ، والإيمان بالآخرة ، فالإيمان بالله للإنسان أصعب وأدق ، لأنه مفطور على الإيمان بالرؤية ، فإنه إذا رأى شيئاً أو اطلع عليه أو شاهده بعينه اعترف به وسلّمه ، فيكون سائر نشاطاته دائراً حول المشاهدة والرؤية ، فإذا واجه الإنسان في حياته مشكلة معقدة ، وكان حلها خارجاً عن نطاقه ، أو أصابه مرض لا يزيله الوسائل الإنسانية اعتقد الإنسان آنذاك أن هناك قوة خارقة للعادة ، لا بد له من الركون إليها ، والالتجاء إلى جنابها ، لكن دأبه أن يتأثر بأي قوة على أساس مشاهدته ورؤيته ، لأنه ليس متعوداً على الإيمان بالله ، والتسليم له ، يعمل بما يكون في المشاهدة ، بل الواقع أن القوة التي خلقت جميع الوسائل والأسباب هي مستورة عن أعيننا الظاهرة ، وهو الله عز وجل الذي أودع في الأشياء تأثيراً ، وقوة ، فلا بد لنا أن نفهم أن الوسائل التي خلقت كيف تستطيع أن تساعد الإنسان ، أو كيف يمكنها أن تقاوم قدرة الله تعالى ، هذا هو الواقع الذي كشف القناع عنه سيدنا إبراهيم عليه السلام أمام قومه الوثنيين بكل وضوح أن لا قيمة للأصنام والأوثان ، فإنها لا تدافع عن وجودها ، فكيف تساعدكم ؟

كرامة الإنسان :

إذا لم يعتبر الإنسان الله عز وجل ولياً وناصراً تخبط ذهنه خبط عشواء ، وكلما رأى بصيص أمل أو ومضة رجاء اعتقد أنه معقد آماله ومعقله ، هذه هي الفكرة الإنسانية الخاطئة ، التي رفضها الله تعالى بالأنبياء والرسل ، فإنهم نصحوا الإنسانية أن الله واحد ، وهو الذي يدير الكائنات بكاملها ، وهو النافع والضار ، فعلى الناس أن يسألوه ، وهو الرب الملك القدوس ، فعلينا أن نستسلم لأوامره ، ونطيع أحكامه ، هذا ما يقتضي منه كرامة الإنسان ، فلنتق الله ، لأنه هو الذي يملك الضرر وإلحاق الخسارة ، ولنتصل به اتصالاً مباشراً ، لأنه هو الذي ينفع ، وليس لأحد سواه قدرة على النفع والضرر والإعطاء والمنع ، وكل ما عداه مخلوق له ، فلا يمكن أن يعمل عملاً مثله .

غاية الدنيا والآخرة :

جعل الله الحياة الدنيا للابتلاء والامتحان ، وجعل الآخرة دار

القرار ، فمن فطانة الإنسان أن يعتقد الآخرة حياةً أبديةً ، ويستعد لها أكثر فأكثر ، لا الحياة الدنيا التي هي محدودة ، فيفكر فيها كل وقت ، لكن الواقع أن جميع مجهوداتنا ، وأشغالنا ومساعينا تبذل لإجادة وإحسان هذه الحياة الدنيا ، المحدودة الحقيرة ، وقد جعل الله نظام الدنيا أن كل ما يكون في هذا الكون من راحة وطمأنينة يتوافر بالوسائل والأسباب ، وكان القصد وراء ذلك أن يرى الله عز وجل : من ينهمك ويتورط في نيل الوسائل والأسباب للحياة الدنيا ؟ ومن تكون الآخرة نصب عينيه ؟ ولا ينسى ربه وخالقه ؟

تركيز على الآخرة :

أكد الله تعالى في القرآن الكريم على الآخرة ، وذكر الأمور والأشياء التي تؤديه إلى النجاة والفوز في الآخرة ، فتناول ذكر القصص أيضاً التي تقرب فكرة الآخرة وأهميتها إلى ذهنه ، وإن قصة أصحاب الكهف نموذج في هذا الشأن أنهم تظاهروا بإيمان خارق للعادة لإصلاح آخرتهم ، وانقطعوا من كل شيئ وتوجهوا إلى الله تعالى ، فأكرمهم الله تعالى بأن رفع عنهم مشكلاتهم بالإيمان بالله ، كذلك قصة صاحبي الجنتين أيضاً مثال له ، بحيث إن واحداً منهما اعتبر جهده ووسائله أصلاً ، ونسي هذه الحقيقة أن الله هو القادر الحقيقي في كل شيئ ، فتكلم بكلمة إساء ة إلى الله ، فأخذه الله نكال الدنيا ، وأخبره بأنه لا يُسمح له بالإساءة إليه ، فكما أن الله تعالى ينفع الإنسان ويكرمه بنعمه الكثيرة كذلك يضره ويلقيه في خسارة ، فكان في هذه القصة درس لأهل الإيمان بأن يستيقنوا ويدركوا بأهمية أن ما يملكون من أسباب وثروات ومناصب عالية كل ذلك بإذن الله وأمره ، فلم يكن فيها نصيب مساعيهم إلا قليلاً ، وهي ليست أساساً فيها ، بل الله تعالى هو الأساس .

وردت في القرآن الكريم قصص كثير من الأمم التي أسخطت الله تعالى ، فعذبهم الله عذاباً شديداً ، فكان من ذكر هذه القصص في القرآن الكريم أننا إذا أردنا أن نعيش حياةً مطمئنةً في الدنيا والآخرة ونجتنب غضب الله وسخطه ، فعلينا أن نعتبر من هذه القصص ، ونزيل عنا النقائص التي تسبب إثارة غضب الله ثم إنزال عذابه .

نجاة المؤمنين : دراسة علمية

في ضوء حديث : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

بقلم : الشيخ السيد محمد علي المونكيري رحمه الله ♣

تعريب : الأخ طلحة نعمت الندوي *

أرى أنّ هناك عدة طرق للنجاة : منها أن لا يواجه مؤمن شيئاً من العذاب في أي حال بعد ما آمن ، فلم يرد مثل هذا الوعد بهذه النجاة في أي آية أو حديث ، ومنها النجاة من نار جهنم في الآخرة ، وهو على وجهين : أحدهما النجاة بعد المعاقبة على السيئآت ، والثاني النجاة منها بدون عقاب وعذاب ، ومثل هذه النجاة قد وردت الآيات والأحاديث بالوعد بها ولا شبهة في ذلك ، فإن الأحاديث التي وردت في ذلك على نوعين : أحدهما أنه من آمن دخل الجنة في أول مرحلة دون الجزاء على السيئآت ، وهذا وعد بأن الله إذا أدخله الجنة فذلك كما وعد به ، وإن عاقبه وعذبه في النار قبل إدخاله الجنة لم يكن مخالفاً لما وعد .

وثانيهما هو أنّ النار عليه حرام ، ولا تمسه في شيئ ، وظاهره يوهم مخالفة الآيات والأحاديث التي جاءت في ذكر العذاب والعقاب ، ولكنّ من تأمل فيه علم أنه لا خلاف في ذلك ، فإنّ الله تعالى قد جعل للإنسان أربعة عوالم : الأول عالم الدنيا ، والثاني عالم البرزخ وهو يسمى القبر ، والثالث عالم القيامة ، والرابع عالم الآخرة ، والإنسان ينال في هذه العوالم الأربعة جزاء سيآته وحسناته من عدة وجوه ، إلاّ أنّ عالم الآخرة

♣ مؤسس ندوة العلماء ورئيسها الأول .

* استاوان ، بهار شريف ، الهند .

أكبر مشاهد له ، وقد جاء القرآن الكريم بجزاء السيئآت والحسنات على نوعين ، فقد اقتصر في بعض المواضع على قوله "من يعمل سوء يجز به " ، وهذه الكلمات عامة بحيث لو نال جزاء سوء عمله في عالم فقد تحقق فيه الوعيد ، ولا يستلزم تحققه إلقاءه في النار ، فلو أصابه ضرّ في هذه الدنيا لما اقترف من الذنوب أو نال العذاب في عالم البرزخ ويعذب في قبره ولا يعلم مقداره إلاّ الله ، فقد تحقق الجزاء والعقاب ، لأنّ عالم القبر وإن كان غير معلوم ، ولكنه لا أقلّ من آلاف من السنين ، وأما عالم القيامة فمقداره خمسون ألف سنة ، إذاً فالحياة الدنيا التي لا تكاد تتجاوز على الأغلب مائتي سنة يكفي لكفارة ذنوبه العذاب في هذه العوالم الثلاثة ، ثمّ إنّ الله عزوجلّ لو حفظه من العذاب في النار فليس ذلك ببعيد من رحمته ، وقد أورد الشيخ حديثاً من سنن البيهقي أثبت به أنّه ليس للأمة المحمدية عذاب الآخرة ، وإنما عذابها هو مصايب الدنيا وما ينال ههنا من سوء وآلام وما يواجهه من البلايا ، كما صحّ معنى الأحاديث التي وردت بتحريم نار جهنم على المؤمن ، كما صح معنى العذاب للعاصي إذ ينال عقابه في الدنيا أو القبر أو الحشر ، ثم إنّ الله تعالى يعيذه من نار جهنم ، ومع ذلك كله تبقى شبهة ، وهي أنه ورد في بعض الآيات والأحاديث دخول النار لبعض ذنوبه مثل من قتل مؤمناً متعمداً فقد قال تعالى عنه : (فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالداً فيهَا) ، كما يقول الله عز وجلّ في موضع آخر : (يَا أَيُّهَا ٱلَّذينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُوۤاْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِٱلْبَاطلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوۤاْ أَنْفُسَكُمْ . وَمَن يَفْعَلْ ذٰلكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْليه نَاراً) ، ظاهر هذه أنّ من أكل مال أحد بالباطل أو قتل مؤمناً بغير الحق يلقى في النار ، ولم يكن لينجو منها بإيمانه فحسب ، فلا بدّ من أن نفكر فيما قال الله تعالى ، وما صرح به قائلاً : (إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفرُ أَن يُشْرَكَ به وَيَغْفرُ مَا دُونَ ذٰلكَ لمَن يَشَآءُ) [سورة النساء : ٤٨] ، فهذه الآية قد قطعت بأنه ليس هناك ذنب سوى الشرك قاطع بالوعيد عليه ، فله أن يغفر من شاء من أهل المعاصي والفسق كيفما شاء ، بالشفاعة أم بدونها ،

وأكثرها ترجيةً للمؤمنين ، وفرحاً لهم الآية التالية التي يخاطب فيها نبيه لأن يقول لعباده : (قُلْ يا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [سورة الزمر : ٥٣] ، فهذه الآية جعلت المغفرة عامةً شاملةً ، فتأملوا يا إخواني ! وشاهدوا فيضان بحر الرحمة الإلهية والمغفرة الربانية ، وكلمات الآية تنادي بأنّ هذا الفيضان سيذهب بالذنوب مثل التبن والقش والحشيش ، فلا يبقى فيه ذنب ، ففكروا في تأكيدها جميعاً واستغراق لام الذنوب ، فلو نظرنا في هذه الآية مع الآية السابقة توصلنا إلى أنه قد ورد القطع بأنه لا يغفر أن يشرك بالله ، وأمّا غيره من الذنوب فإنّ ذلك الكريم يغفرها بكرمه وفضله ، ويؤيده ما جاء عن رحمة للعالمين عليه السلام تماماً حيث قال : " حرمه الله على النار " ، ففكروا في معاني هاتين الآيتين في ضوء الأحاديث التي سبقت ، وهذا الذي بين يديكم ، ومجموع كلّ ذلك يهدينا ويرشدنا إلى أنّ ذنوب المسلمين ستغفر بالتوبة وبدونها ، ولو أنجاه الله بعد إدخاله النار فليس ذلك مغفرةً ، وليراجع له إلى تفسير روح المعاني .

فالآن نقول : إن الآيات والأحاديث التي توعدت بالنار وجهنم على ذنب من الذنوب كان معناهما بيان العقاب لتشنيع ذلك العمل ، حتى يكون العبد على يقين من ذلك ، ثمّ يشاهد فضله وكرمه ونعمه عليه عند النجاة ، وأن ربه قد منّ عليه بإيمانه فحسب ، وكيف أنقذه ومن أي مهلكة أنقذه ، وكان قد استحقها ، وبناءً على ذلك يغمر ذلك العبد العاصي سرور عظيم ببشارة النجاة فحسب قبل دخوله الجنة ، وهذا سرور أيما سرور .

يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح حديث : " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " ، " معنى الحديث أنّ هذا جزاؤه ، وقد يجازى به وقد يعفو الله الكريم عنه ، ولا يقطع عليه بدخول النار ، وهكذا سبيل لكلّ ما جاء من الوعيد بالنار لأصحاب الكبائر " .

وهذا الإجماع الذي قدمنا قد فصل القول وحكم بأنّ الآيات

والأحاديث التي وردت بالإنذار من العقاب والوعيد على بعض الأعمال ليس الغرض منها بيان القطع بدخوله النار ، بل المقصود هو جزاؤه .

وهذا التأويل ينطبق على جميع الآيات والأحاديث القرآنية انطباقاً صحيحاً ، فإن قيل : إذا لم يدخل أحد النار بذنوبه فدلّ ذلك على أنه لا يضرّ بعد الإيمان معصية ، فلا داعي إلى الخوف ، ولقد صحّ في عقائد أهل السنة أنّ الإيمان بين الخوف والرجاء ، أي لا بدّ للمؤمن من وجود الخوف والرجاء ، قلنا : هذا ظنّ بيّن الخطأ من وجوه ، أحدها : قد سبق آنفاً أنه ليست النار هي الوحيدة الكفيلة بالعقاب ، بل هناك عقوبات وتعذيبات في عالم الدنيا وعالم القبر وعالم القيامة ، أفهل هذا قليل ؟ حتى يكون الإنسان على مأمن منه ولا يخاف ، فلو فرضنا أنه لا يعذب مؤمن في النار في جهنم ، فلم يرد في نصّ من النصوص أنه لا يمسه شيئ من العذاب في أي مكان ، فإذا أمكن الخوف في ساعة فتبين أنه لا بدّ من ظهور ضرر الذنوب فلا داعي إلى الأمن من الخوف ، والوجه الثاني : أنّ الأحاديث التي وردت بالوعد بالنجاة على الإقرار بالتوحيد والتصديق بالرسالة ، وردت بكلمة " صدقاً من قلبه " ، وكلمة " من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً " ، ففكروا في هذه الكلمات ، فإنّ الإخلاص والصدق من القلب ليس سهلاً ميسوراً ، ثمّ إنّ لهذا التصديق مراتب ، فهناك تصديق لأولياء الله تعالى ، وتصديق آخر لعامة الناس ، وشتان بينهما ، ولا يمكن تعيين أيّ التصديقين أريد في ما سبق من الروايات ، وذلك يكفي لمؤمن أن لا يأمن مكر الشيطان وعذاب الله تعالى ، ولو نظرنا في الحديث الذي يشرح التصديق بالقلب بما يمنعك من السوء ، أي بلغ به إخلاصه في إيمانه مبلغاً يضطره إلى طاعة الله ورسوله والانتهاء عن المعاصي والسيئآت ، فلو اتصف المؤمن بهذه الكيفية يقوى بها خوفه من الله ، وهذه الزيادة إنما توجد في القسم الأول من الأحاديث ، وهي وإن ضعفها العلماء والمحدثون ، ولكن تكفي في الترهيب والترغيب ، ولا سيّما لأجل أنه لا يستلزم ضعف الإسناد ضعف معنى الحديث ، بل يحتمل

صحة المعنى ، وكفى ذلك المؤمن خوفاً وخشيةً .

والوجه الثالث أنه جاء بعض الأحاديث بشرط ، وهو أن يموت على هذا التصديق ، وقد أكده العلماء إجماعاً إذا فلا يخلو قلب المؤمن من الخوف لحظةً ، لأنه لا يعلم هل يموت على هذا أم لا ، ولأجل هذا التمس الصحابة رضي الله عنهم من أصحابهم بحسن الخاتمة فضلاً عن الأولياء والمشايخ الربانيين ، والوجه الرابع أنّ الإنسان تعود على السيئآت وزال عن قلبه قبحها تجاسر على كلّ معصية وتجرأ على كلّ ذنب ، ولأجل ذلك يخشى عليه زوال الإيمان ، لأنّ النور والظلمة لا يجتمعان .

الأمر الثالث : إذا كان التصديق بالقلب يكفي للنجاة ، فما الذي يدعو إلى الأعمال الصالحة وأحكام الشرع ، فاعلموا أنّ المطلوب من القيام بالأعمال والأحكام الشرعية – في ما يبدو – تحقيق غرضين مهمين : أولهما تزيين العالم هذا بالمدنية والحضارة والأخلاق الحسنة ، وذلك التزيين بحيث لا يضره شيئ في العالم الآخر الذي يأتي بعد هذا العالم ، فهذه الأحكام هي التي تسدّ أبواب المفاسد والفوضى وتمنع تسرب الفتن ونزولها ، وهي التي يتكفل العمل بها العيش بأمن وطمأنينة ، والعلم بها هو الذي يزكي النفوس ويهذب الأخلاق ، وظاهر التهذيب هذا لا يقتصر على المظاهر فحسب ، بل يزكي باطن الإنسان ويهذبه حتى لا يصدر منه إلاّ الخير من العمل والفكر إلاّ ما شذّ وندر .

والغرض الثاني هو الوصول إلى المراتب العالية في الحياة الدائمة في عالم الآخرة ، أي يكفي الإيمان للنجاة من عذاب واصب ، ولكنّ الراحة الأبدية لها درجات ومراتب ، يتطلب الوصول إليها الخيرات والحسنات والأعمال الصالحة ، فكلما ازداد عملاً بالخيرات ازداد تقدماً وارتقاءً إلى علياء الجنة ، وكلّ إنسان نظراً إلى خواطره وأخيلته وأهوائه يدرك مدى حاجة الإنسان إلى هذه الأحكام الشرعية ، ولم يكن هناك عقل من العقول الإنسانية يبين مثل هذه الأحكام التي يتضمن العمل بها طمأنينةً أبديةً في عالم الآخرة .

محبة النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي
تعريب : الأخ نعمت الله قاسم الندوي

مما يجب على كل واحدٍ منا نحن المسلمين من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون صادقاً في حبه ، متفانياً فيه ، كما ينبغي أن ينبثق هذا الحب من أعماق القلب ، وينبغي كذلك أن يسيطر على القوى والأعصاب ، ويغلب على كل ما ينبعث من عواطف ومشاعر ، ويستولي على كل ما يرغب العقل فيه أو يطلبه ، حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ، ويتمنى المرء بغاية من الصدق والإخلاص أن يضحي له بكل رخيص وثمين ، ويفديه بنفس ونفيس .

وإن هذا الحب من علامات الإيمان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين . (صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، الحديث : ١٥) .

ويقول تعالى : (ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) [سورة الأحزاب ، الآية : ٦] .

تعني الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أرأف بالمؤمنين وأجدر وألطف وأحق من أنفسهم ، وحقوقه صلى الله عليه وسلم عليهم أعظم من حقوقهم على أنفسهم . فمن واجبات أهل الإيمان أن يؤثروا ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم ويدعو إليه ، ويفضلوا أحكامه دائماً على أموالهم وأنفسهم ورغباتهم وشهواتهم في كل ساعة من ساعات الحياة ، فمن لم يفعل ذلك فإن إيمانه في خطر دائماً ، وعليه أن يستعرض دينه ويتفقد إيمانه .

وعلى ذلك يؤكد ما رواه عبد الله بن هشام فقال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له عمر : يا رسول الله ! لأنت أحب إلي من كل شيئ إلا من نفسي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر (صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، الحديث : ٦٦٣٢) .

وجاء نفس المعنى في آية أخرى من القرآن الكريم ، ففي مناسبة

غزوة تبوك عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الجميع بالخروج ولكن المنافقين بدأوا يعتذرون ، وتخلف بعض الصحابة لأسباب متعددة ، نزلت الآية : (مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ ٱلأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ) [سورة التوبة ، الآية : ١٢٠] .

فأكد الله سبحانه وتعالى بوضوح أن المطلوب من أهل الإيمان أن يحبوا النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من حبهم لأنفسهم ، ويقدموه صلى الله عليه وسلم على كل شيئ ، على رغباتهم وشهواتهم وميولهم وغرائزهم ، ويذعنوا لأمره ويعملوا به ، مهما يتطلب ذلك منهم من تضحيات ، هذا ما يقاس به صدق الحب ووفاؤه ، ومن ثم تتضح ميول الإنسان واتجاهاته . فإذا قام أحد بتقديم أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم في كل حال من أحوال حياته فذلك دليل على حبه الصادق ، وإلا فإن كلامه وادعاءه للحب مجرد كلمات وشعارات فارغة يرددها مرارا ولكن تكذبها مواقفه . يقول تعالى : (يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ) [سورة التوبة ، الآية : ٦٢] .

فإن كنا نطلب الرضا فرضا الله ورسوله أحرى بنا أن نطلبه فإن رضا كل واحد مؤقت وثمراته محدودة ، ولكن رضا الله ورسوله يكفل بدوام السعادة .

ومن علامات الحب الصادق أن يمتثل المرء لأمر حبيبه ويتجنب كل ما يتسبب في سخطه وغضبه ، ويهتم دائماً بإرضائه .

أسباب الحب :

لقد خلق الله الإنسان ، وأوجد معه احتياجاته ، وجعل له ما يلبي مطالبه ويسد حاجاته ، وجعل له ذوي القربى والعلاقات ، يعيش معهم ويأنس إليهم . فإذا تأملنا في العلاقات والقرابات وجدنا أن أساسها هو أمر الله تعالى وإرادته . فالأم صارت أماً بأمر الله تعالى وإرادته ، والأب أصبح أباً بأمر الله تعالى وإرادته ، وكل ما يربطنا من علاقات وقرابات يرجع إلى الله سبحانه وتعالى . وإن حبنا لأبينا وأمنا وولدنا ووالدنا حب طبيعي . وهناك حب عقلي ، وله أسباب ، وهي تتجلى بأبرز صورها وأسمى معانيها في ذات الله تعالى وشخصية نبيه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم . فكل ما نشهد اليوم في الدنيا من جمال وبهاء وحسن ولطافة – مهما كان نوعه وموقعه – هو من صنع الله تبارك وتعالى . وكل ما نراه اليوم من كمال ونبوغ وإبداع هو من خلقه تبارك وتعالى . فلو لم يرزق الله

الإنسان نعمة العقل ماذا كان فاعلاً ؟ وأي إنجاز كان بوسعه أن يحققه ؟ وأي مكرمة كان قادراً على صنعها ؟

فجميع أسباب الحب من الجمال والكمال وغير ذلك مما يورث في قلوب الناس حب بعضهم بعضاً مرجعها ومردها إلى الله سبحانه وتعالى في الحقيقة . فإنه منبع كل خير وسعادة ، ومصدر كل كمال وجمال .

أقصى درجات الجمال :

فإذا تأملنا في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم تبين لنا أن أسباب الحب كلها توجد فيه صلى الله عليه وسلم بأسمى معانيها ، وتبرز بأجمل أشكالها ، فإنه أوتي من الجمال ما لم يؤت أحد من العالمين . فلو جُمعت محاسن العالم كله ما بلغت معشار ما حباه الله سبحانه وتعالى به من الحسن والجمال .

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلةٍ إضحيان (مضيئة) . فجعلت أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى القمر ، وعليه حلة حمراء . فإذا هو عندي أحسن من القمر (رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب ، الحديث : ٢٨١١) .

فوصفهم الصحابة رضي الله عنهم بأن وجهه كان أحسن من القمر . فإن القمر به بقع ، ووجهه مبرء من كل عيب ومنزه من كل نقص ، لذلك مثلوا وجه النبي الشريف بأجمل وأحسن ما عرفوه – وهما الشمس والقمر – حيث قالوا " كانه قطعة قمر " ، فكأنهم شبهوا وجهه في الصفاء والنقاء والجلاء والوضاءة من القمر بقطعته البراقة الصافية من سواد البقع ، حتى قالوا : لا شيئ أجمل منه ، وإنه أحسن من القمر .

منبع العلم والابتكار :

وكل ما يتمتع به العالم من مواهب وكفاءات وقدرات وبراعات ، وكل ما يشهده من تقدم وإبداع ورقي وازدهار ، إنما هو نتاج العلم الذي وضع أساسه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً ، فإن هذا العلم الذي حظي العالم بفضله بإبداعات وتطورات واختراعات وابتكارات جاء عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، فلو لم تكن بعثته ولو لم ينزل عليه الوحي الذي ابتدا بـ " اقرأ " لما توجهت البشرية نحو العلم . وبالجملة فإن جداول العلم والحكمة كلها متفرعة من معين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإليه ينتهي ما حظي به العالم من كمالات وبراعات وعلوم وفنون .

أفضاله على البشرية :

إن المنن التي تفضل بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على

البشرية تبلغ من حيث الكمية والكيفية ذروتها ، ولا يمكن تصور صدور هذه المنن عن أحد غيره بعد الله تعالى . فإن البشرية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم كانت متناحرة متقاتلة ، وموزعة بين قبائل وجماعات ، وأصبحت كالبهائم ، لا حظ لها في القيم والأخلاق . وكانت هناك إمبراطوريات عظيمة وسلطات قوية هائلة ، كلها تردت في حمأة الفساد الخلقي ، وأصيبت بالسلوك الهمجي والتدهور الاجتماعي . وقد سجل التاريخ الإنساني حوادث الانحطاط الفكري والانحلال الخلقي والاجتماعي ، مما لا يكاد العقل البشري يسلم بصحته ويعترف بوقوعه على وجه الأرض ، فالعقل البشري يقف متعجباً متحيراً ، ويصعب عليه أن يصدّق كيف تسمح للإنسان نفسه بالتجرأ على ارتكاب هذه الجرائم الشنعاء . فقد كان الإنسان حينذاك غافلاً عن نفسه ومصيره ، مقيداً بالطقوس الجاهلية والعادات القبيحة فأصبح عبداً لما تملي عليه أهواؤه ورغباته ، خاضعاً لما تسوق إليه نفسه التي انسحبت وزاغت آنذاك عن طريق الحق والصواب .

ونرى في كتب التاريخ أن الناس عندما كانوا يجتمعون بمناسبات الولائم والمآدب ، كانوا يستخدمون العبيد والأرقاء كمصباح بإشعال النار في ثيابهم بعد ربطهم إلى عمود ، ويتلذذون بأنواع الأطعمة على ضوء تشعه أجساد عبيدهم الملتهبة بالنار ويتمايلون على أغاني الأنين المتصاعدة من أفواههم ، فكان الموت إذا استظل على أحدهم احتراقاً ، تركوا طعامهم وشرابهم يجتمعون حوله ويشاهدون لحظات الفراق بين الروح والجسد . فكان ذلك هوايتهم المفضلة . فقصارى القول أن الإنسانية قد انحدرت إلى حضيض من التدهور الإجتماعي وسقطت في قعر من الوهن الديني والأخلاقي ، وكانت مثخنة بالجروح ومرهقة بالآلام ، فكانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم ، وهدى الإنسانية التائهة طريقها ، وأمسك بيدها إلى الخير والفلاح والسعادة ، ولقنها درس المودة والإخاء والمساواة والمواساة .

يقول تعالى : (وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [سورة آل عمران . الآية : ١٠٣] .

وقد أعلن ربعي بن عامر قائلاً : اللّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . (البداية والنهاية لابن كثير ، المجلد : ٩) .

رعاية الله للمرأة على تداول الأزمان

بقلم : الدكتور غريب جمعة*

من اطلع على الكتب المقدسة التي أوحاها الله إلى رسله الكرام يجد رعايته عز وجل للمرأة سامية جداً ، وهذا حق ، ذلك أن المرأة ضعيفة بالنسبة للرجل فالله سبحانه وتعالى يكلأ ضعفها دائماً بالرعاية والعناية .

ومن يرجع إلى قصة السيدة مريم والسيدة آسيا يجد كيف تكون العناية والرعاية من الله عز وجل .

ألا ترى أن السيدة حنة والدة السيدة مريم ، وقد نذرت أن تجعل ولدها سادناً لبيت المقدس ، فلما وضعتها أنثى حزنت وظنت أن الأنثى لا تصلح أن تكون قائمة بخدمة في بيت الله . وإذا تابعت ولادة السيدة مريم وما منَّ الله به من إكرام لها وحنان عليها وجدت ذلك هائلاً جداً . ألم يقل سبحانه وتعالى في شأنها : (إِذْ قَالَت امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُومِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) [آل عمران : ٣٥ – ٣٨] .

وأي كرامة أكبر من أن نبياً عظيماً كسيدنا زكريا عليه السلام يتولى رعايتها وكفالتها وقد أذهله ما رأى من كفالة الله ورعايته لها كلما دخل عليها المحراب وهو المكان الذي كانت تتعبد فيه في بيت المقدس وجد عندها رزقاً يدعو للدهشة والعجب مما حدابه لسؤالها : أنى لك هذا ؟

فأجابته إجابة الموصولة بربها المعترفة بنعمة عليها قائلة هو من عند الله !

* جمهورية مصر العربية .

هنا زكريا عليه السلام أخذه الخشوع والرغبة إلى الله واللهفة ورفع يديه يطلب من الله عز وجل لنفسه الولد إذ كان كبيراً في السن ، وكانت امرأته عاقراً فلا تلد . ولكن بشَّره الله سبحانه ببركة صدقه وإخلاصه وصفاء نفسه وضراعته . بشره بمولد يحيى عليه السلام إذ يقول سبحانه : (فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُو قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران : ٣٩] .

وهكذا ترى أن المرأة لها نصيب كبير من رحمة الله وعنايته ومدده وكرامته . أما السيدة آسيا زوجة فرعون فإنها على الرغم من وجودها في مقر الكفر – بل الفجور في الكفر – وسكنه وكبريائه وغطرسته . على الرغم من ذلك كانت صالحة مخلصة لربها مما يدل أن الرجل إذا فجر وحده لا يؤثر في صلاح المرأة وصدقها وإخلاصها طالما كانت ذات دين . حقاً لا يؤثر ، وهذا ظاهر بين . ألا ترى أن الله قد أجاب دعاءها وهيأ لها بيتاً في الجنة حين قالت : (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [التحريم : ١١] .

وهكذا المسألة ليست مسألة رجل وامرأة في القرب إلى الله تعالى ونيل رضاه ، بل المسألة مسألة الإنابة والصدق والإيمان والإخلاص والحب الخالص لرب العالمين . هذا الذي يرفع الرجل أو المرأة ، وهذا الذي يميز أحدهما عن الآخر ، ومن ظن سوى ذلك فقد جهل .

فليس الرجل من حيث هو رجل محل الرعاية والعناية من الله ، ولا المرأة من حيث هي امرأة محل الرعاية والعناية من الله .

وإنما ينال ذلك بالصدق والإخلاص والإنابة إليه سبحانه وتعالى وملازمة ذكره والضراعة إليه آناء الليل وأطراف النهار .

وفي زمن صاحب الرسالة الخاتمة صلى الله عليه وسلم خرجت المرأة من الظلم والظلمات الجاهلية التي كانت عليها ، وانطلقت تستقبل الهدى والرحمة والعناية والرعاية من الله عز وجل استقبالاً حسناً .

انظر هذه السيدة خديجة . . وما أدراك ما السيدة خديجة ؟

وزيرة الصدق ومأنس الروح وسكن الفؤاد ونعم المعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غدا فضلها على المسلمين جميعاً إلى يوم القيامة رضي الله عنها وأرضاها وجزاها عن رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم

وعن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به زوجةً صالحةً وثريةً عابدةً زاهدةً باعت نفسها ومالها وحسنها وعافيتها لله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فلم يرض الله لها دون بيت من قصب في الجنة ثواباً .

عن أبي زرعة قال سمعت أبا هريرة قال : " أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب " (رواه مسلم ، باب فضائل خديجة رضي الله عنها) .

وهذه السيدة عائشة والسيدة فاطمة رضي الله عنهما والسيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق . . وغيرهن كثير ، شرف التاريخ بذكرهن والإشادة بفضائلهن .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حسبك من نساء العالمين : مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون " (أخرجه الترمذي) .

وهكذا تجد أن المرأة في الإسلام لها كرامتها وحرمتها ، ومن رحمة الله بها أن هذه الرحمة تبدأ منذ ولادتها وتظل مشمولة بها في جميع أطوار حياتها حتى تلقاه جل جلاله .

ألا ترى أن الله في وحيه الكريم أرانا سخافة سخفاء الجاهلية الذين كانوا يضيقون بميلاد البنت ، ويرونه مصيبةً وعاراً يسود الوجوه وهذا الجهل الفاضح تجده ظاهراً في قوله تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُو كَظِيمٌ . يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ من سُوءِ مَا بُشِّرَ به أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [النحل : ٥٨ – ٥٩] .

سبحان الله – ما أكرم الله خلقاً كرامته لتربية البنات .

إن الذي ينظر في مكانة تربية البنات عند الله تعالى تأخذه الدهشة والعجب ، ويعلم أن البنت نعمة لمن يرزقه الله بها ، ألا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله وسلم قال : " مَنْ عَالَ جَارِيَتَين حتَّى تَبلُغَا جاء يَومَ القِيَامَة أَنَا وَهُو كَهَاتَين " وضم إصبعيه (السبابة والوسطى) (رواه مسلم) (جاريتين : أي بنتين) .

فهذا الحديث ينهض بمكانة البنت إلى السموات العلى ويجعل

تربيتها ليس لها كفاء إلا الجنة ، وماذا يرجو المؤمن بعد هذه الحياة وزخرفها وألمها وأوجاعها سوى سعادة الآخرة في الجنة .

إذاً فشأن تربية البنات عظيم ، والنهوض بها إلى مكانته العليا نهوض بالخير والهدى والحق والرشد . فلا ينبغي أن نهمل تربية بناتنا أو نضيق بهن ، وهل يضيق إلا سفيه الحلم قليل الفكر عسير النفس بعيد عن الله .

ومهما يكن فليس في عجالة كهذه يمكن أن تستوفي تربية البنت التي يرزق الله بها ، وإنما الإشارة تكفي عن العبارة الطويلة ، وهي إن شاء الله ستكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وكم من سخافة تراها في قول بعض عرب الجاهلية حين بشر بميلاد ابنة له قال : والله ما هي بنعم الولد ، نصرها بكاء ، وبرها سرقة .

وهذا إفك على المرأة ، فالمرأة لها أساليبها في نصرة الحق والدين ، ولها مكانتها كما هو ظاهر في سيرة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها . وبرها ليس بسرقة لأن المرأة لها طرقها المشروعة في نيل الأموال وإنفاقها في سبيل الله .

وكم من امرأة حفل التاريخ بآثارها ومكارمها ورعايتها للإسلام والأيتام والمساكين ، ولا تزال أسماؤهن يتغنى بها التاريخ كالسيدة " زبيدة " رحمها الله . اقرأ عنها هذه الفقرات التي كتبت بحروف من نور : للشيخين هاشم دفتر دار ومحمد الزعبي : " وهذه زبيدة التي كانت أشبه بالملكات العمرانيات من النساء الخالدات ، فلها أيضاً شق الطرق وتشييد المعابد وإقامة الجسور والقناطر ، ولها آية الآيات التي تزيد قيمة وخلوداً ونفعاً عاماً مستمراً ، عن الحدائق المعلقة لها عين " زبيدة " في مكة المكرمة . فقد آلمها أن ترى الظمأ يحرق أكباد الحجيج ، في أسمى مؤتمر عالمي ، وأظهر اجتماع إنساني ، مؤتمر يقصده الحجاج من كل فج عميق ، مؤتمر يبدو فيه السلام والوحدة الإنسانية في أصدق المعاني الحقيقية الصحيحة .

أجل ، آلمها ذلك فأنشأت المشروع العظيم الخالد ، مشروع جلب المياه إلى كل مواطن احتشاد الحجيج ، إنه مشروع فريد من نوعه في العلم ، لم توفق امرأة قبلها ولا بعدها إلى إنشاء مثله ، مشروع كبير قد التهم جل ثروتها ، وكيف لا يلتهم جل الثروة ، وهو جر الماء من جبال

" كدي " القريبة من الطائف إلى عرفات فمنى فمزدلفه فمكة في بلاد كثيرة الوهاد والجبال ، وفي زمن لم تكن فيه الوسائل الآلية المعروفة اليوم ومهما يكن من تنويه بعظمة هذا المشروع ، فحسبه أنه أنتج لها المجد والخلود والذكر الحسن ، وأنه لا يزال بحذافيره كأنه من نتاج هذا العصر . ولله ما أصدق أبا العتاهية حين يقول : إن مال المرء ليس له منه إلا ذكره الحسن .

وها هي تحج ، ونرى أثر النعمة التي أفاءها الله على يديها لعباده ، فتشكره وتأبى أن تراجع مجلدات الحساب الضخمة وتأمر بحرقها قائلةً : " هذا منه وإليه " .

وحين رأت الحجاج الذين يقصدون مكة من طريق العراق يجهدون لقلة الماء ، أوفدت المهندسين والعمال لحفر الآبار وتوفير المياه في كل المحطات ، ولا تزال آثارها إلى اليوم .

ألا سقى الله ابنة جعفر صيب رحمته وأغدق عليها غفرانه ، فما كانت خزائنها لتبقى باسمها خالدةً لولم تفتحها على مصراعيها ، لإنشاء ما أنشأت من المشروعات العامة [1] " أ هـ .

وأي شيئ يصيب المرأة من سوء فهم الرجل حين يقسو قلبه الأصم فيدفنها حيةً كما حصل لكثير في الجاهلية .

والحمد لله فالإسلام يرفع شأن المرأة ويعلى من قدرها ويعتبرها أم الأجيال الصاعدة ، فهي علم من أعلام الإسلام يرفرف في كل مكان ولا يحط من قدرها إلا جاهل فَدْمَنْ (لا يفهم) لا يفهم الحقيقة ولا يدريها .

وتاريخ التشريع الإسلامي منذ عهد السلف الصالح إلى يومنا هذا ، والمرأة مكرمة فيه عالية القدر رفيعة المنزلة سواء كانت أماً أو زوجةً أو ابنةً أو حتى قريبة من الأقارب ، والشاهد على ذلك أن التوريث الإسلامي مقدر للمرأة في كل الظروف . وإليك بيان ذلك :

(١) كابنة واحدة (٢) أو كابنتين فأكثر (٣) أو كابنة الابن الواحدة (٤) أو كابنتى الابن فما فوق (٥) أو كأم (٦) أو كجدة لأم (٧) أو كجدة لأب (٨) أو كأخت شقيقة (٩) أو كأخت لأب (١٠) أو

[1] المرأة في السياسة والاجتماع تأليف الشيخين : هاشم دفتر دار ، محمد الزعبي منشورات دار الإنصاف ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٥٠م ، ص ٨٥ وما بعدها .

كأخت لأم (١١) أو كزوجة .

وإليك تفصيل حق المرأة في جميع هذه الأحوال ، ومن هنا تدرك عظمة التشريع الإسلامي في توفير المال للمرأة لتعيش سعيدة كل السعادة .

البنت الواحدة :

إذا كانت الأنثى بنتاً واحدةً وليس لها إخوة وأخوات أو ابن عمها بالنسبة لأولاد الابن فإنها تختص بأخذ شطر التركة . وأما إذا كان لها إخوة أو أخ فإن التركة تقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين باعتبار أنه المكلف بتقديم الصداق والاضطلاع بالنفقة .

البنتان فما فوق :

إذا كان للمورث بنتان أو أكثر وليس لهن معصب وهو الأخ الذكر الذي هو ابن للمورث ، فيكون لهن الثلثان من التركة .

ابنة الابن الواحدة :

إذا كانت الأنثى بنت ابن المتوفى فإنها تأخذ من التركة النصف كالبنت ، ولكن بشرطين : عدم وجود المساوى لها في الدرجة وهي بنت الابن أي أختها أو بنت عمها ، وأن لا يكون معها ابن الابن ، ولا فرق في أن يكون ابن الابن هذا شقيقها أو ابن عمها . فإنه يعصبها أن تأخذ معه للذكر مثل حظ الأنثيين .

عدم وجود الحاجب لها من الميراث وهو المانع كوجود ابن للمورث فإنه يحجبها عن الميراث مطلقاً لأنه أعلى منها درجة في القربى للمورث .

ابنتا الابن فما فوق :

إذا كان للمورث حفيدتان فأكثر فلهن ثلثا التركة بشرط أن لا يكون لهن معصب ، وهو ابن الابن أي أخوهما أو ابن عمهما وأن لا يكون هناك أولاد ذكورٍ للمورث أو إناث لأن بنات الابن يأخذن مع البنت الواحدة السدس تكملة للثلثين ويسقطن البنات . وإذا كان هنا بنت للمورث (أي عمة) لابنة الابن فإنها تأخذ السدس .

الأم :

إذا كانت المرأة أماً فإن الله قد فرض لها أخذ السدس من التركة أي تأخذ الأم من ميراث ابنتها سدس المال المتروك من مال ابنها أو ابنتها أياً كان نوع هذا المال . وهذا السدس خالص للأم ، ولو كان الأب

موجوداً فإن له أيضاً هو أن يأخذ السدس دون مساس بسدس الأم بقوله تعالى : (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا السُّدُسُ) بشرط أن يكون لابنها المتوفى أو لابنتها المتوفاة فَرع وارثٌ ذَكراً كان أو أنثى أو يكون لأحدهما عدد من الإخوة مهما كان نوع هؤلاء الإخوة أي إخوة أشقاء أو إخوة لأب أو إخوة لأم ، والمقصود من العدد هناك يبتدئ من الاثنين فصاعداً .

والله قد فرض للأم أخذ الثلث إذا لم يكن لابنها المتوفى أو ابنتها المتوفاة فرع وارث من ذكر أو أنثى ، وإذا لم يكن لأحدهما أي أشقاء أو إخوة لأب أو إخوة لأم .

وللأم أخذ الثلث الباقي من التركة بعد أخذ أحد الزوجين فرضه منها ، وذلك في مسألتين اثنتين فقط . وهو زوج وأم وأب أو زوجته وأم أو أب فللأم في هاتين المسألتين ثلث الباقي .

جدة لأم وهي أم الأم :

تأخذ جدة المتوفى لأمه سدس التركة هذا إذا كان له ورثة سواها . أما إذا لم يكن له ورثة سواها فإنها تأخذ السدس فرضاً وتأخذ الباقي وهو خمسة أسداس رداً ، وبعبارة أخرى تأخذ التركة كلها .

جدة لأب وهي أم الأب :

تأخذ الجدة لأب سدس التركة كالجدة لأم ، وكذلك تأخذ كل التركة إذا لم يكن لمورثها سواها بالتفصيل السابق .

اجتماع الجدتين المذكورتين أو الجدات إذا كان للمورث جدتانِ صحيحتان ، وهما أم الأم وأم الأب فإنهما تأخذان سدس التركة مناصفة بينهما " أي " تشتركان في السدس .

وهناك جدة ترث مع الجدتين الصحيحتين إن وجدت وهي أم أب الأب فيكون السدس لهن جميعاً مثالثة . وما عدا ذلك من الجدات فإنهن لا يرثن كأم أب الأم .

ومع ذلك فإن الجدات إذا اجتمعن وليس للمتوفى المورث سواهن من وارث مطلقاً فإنهن يأخذن كل التركة مثالثة بينهن .

أخت شقيقة :

إذا كانت الأنثى أختاً شقيقةً أي من ذات الأبوين فإنها تتناول شطر الميراث إذا توافرت فيها ستة شروط :

١. عدم وجود معصب لها ، وهو الأخ الشقيق والإخوة الأشقاء .
٢. عدم وجود أصل كالأب والجد فما فوق .
٣. عدم وجود الفرع الوارث كالابن والبنت وبنت الابن أو البنات أو بنات الابن أو ابن الابن .
٤. عدم وجود المساوي لها كالأخت الشقيقة .
٥. تأخذ باقي التركة " عصبة مع الغير " إذا كانت مع البنت أو بنت الابن .
٦. إذا كانت الأخت الشقيقة مع البنت الواحدة أو مع بنت الابن الواحدة فإنها تصير بقوة الأخ الشقيق فتحجب حينئذ الأخ لأب هو العاصب بنفسه .

أخت الأب :

إذا كانت المرأة أختاً لأب منفردة فتأخذ النصف .

إذا كان معها أخ لأب فتأخذ معه للذكر مثل حظ الأنثيين أي يعصبها .

وتأخذ الأخت لأب باقي التركة " عصبة مع الغير " إذا كانت مع البنت الواحدة أو بنت الابن الواحدة ، هذا إذا لم يكن للمورث إخوة أشقاء أي من أب وأم أو لم يكن له جد لأب أو ابن أو ابن ابنٍ وأن نزل ، فهؤلاء لا يمنعونها من الميراث لأنهم أقرب إلى المورث منها درجة .

أخت لأم :

إذا كانت الأنثى أختاً لأم بالنسبة للمورث :

فإنها تستحق سدس الميراث هذا إذا انفردت ووجود وارث للميت لا يحجها ولا يمنعها من أخذ السدس .

عدم وجود من يحجبها عن الميراث هم ستة : (١) الابن (٢) الأب (٣) الجد لأب (٤) البنت (٥) بنت الابن (٦) ابن الابن .

فهؤلاء الذين يحجبونها أي يمنعوها من الميراث .

عدم وجود المساوي وهو أخت لأم أيضاً وحينئذ تأخذان معاً الثلث مناصفةً بينهما ، ويجب أن تشير هنا إلى اهتمام الإسلام بإيصال المال إلى المرأة .

ألا ترى القرآن المجيد نص على أن الإخوة لأم مطلقاً أي ذكوراً وإناثاً يشتركون في الثلث فتأخذ الأنثى كالذكر تماماً لقوله تعالى :

(وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِد مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ من ذٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُث) [النساء : ١٢] .

ولفظ التشريك يفيد المساواة بين الرجل والنساء " أي الإخوة لأم " مثال ذلك : توفي رجل عن أخ لأم وأخت لأم وأخت لأم ثانية أيضاً . فالمسألة من ثلاثة للأخ ولأم منها واحد وللأخت لأم كذلك وللأخت الثانية لأم كذلك .

أصل المسألة :

أخ لأم ١
أخت لأم ١
أخت لأم ١

وكذلك إذا مات عن أخت لأم وأخ لأم فالتركة مناصفة بينهما بهذه الصورة :

٢
أخت لأم ١
أخ لأم ١

الزوجة :

إذا كانت المرأة زوجةً فلها من تركة زوجها المتوفى ثمن المال .

هذا إذا كان له ورثة سواها من بنين وبنات ، ولا زيادة عن الثمن في هذه الحالة حتى لو كان له زوجات أخر فالثمن يقسم بينهن بالتساوي .

وإذا لم يكن للزوج ذرية منها أو من سواها تأخذ من التركة الربع بالطريقة ذاتها .

وكل ذلك دليل على أن حقوق المراة محفوظة ، وأن التلاعب بهذه الحقوق جناية وغدر ومهانة وانحطاط . ولا يفعله إلا السفهاء والأنذال الذين لا يرعون إلاً ولا ذمةً لحق فرضه الله للمرأة .

وإنك لتعجب حين تسمع بعض المغفلين المهاويس يقولون : إن المرأة تأخذ مال الأسرة وتنقله إلى أسرة أخرى . ويجهل المسكين أن أسرته جاءت إليها امرأة بأموال أسرتها وهذا معجزة الإسلام في تنقل المنافع وتعميمها بين الناس فالمجد والإحسان يقلبه هؤلاء الخبثاء إلى عار وسبة . ولا يعبث بحقوق المرأة إلا الخائنون الوضعاء.

(للحديث بقية إن شاء الله) .

هل ذهبت عزتنا ؟

الدكتور أشرف شعبان *

الحمد لله الذي ارتضى لنا الإسلام ديناً ، وأعزنا بالإيمان ، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسله ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر أولياءه ، عز من اعتز به فلا يضام ، وذل من تكبر عن أمره ولقي الآثام ، وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ووعده حق ، ليستخلفنهم في الأرض وليمكنن لهم دينهم وليبدلنهم من خوفهم أمناً . وأشهد أن محمداً رسول الله أدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد !

فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نحن قوم أعزنا الله عز وجل بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله . والواقع والتاريخ يشهدان بذلك . فما من زمان ومكان نحيا فيهما بالإسلام وللإسلام إلا وكنا في عزة ورفعة وإباء وفي صدارة الأمم ، وما من وقت ومقام نعيش فيهما بغير الإسلام ولغير الإسلام إلا وكنا في موضع مهانة وهوان وفي مؤخرة الأمم . والشاهد على الحالة الأولى ، هو امتداد الفتوحات الإسلامية من غربي الصين حتى جنوب فرنسا ، مروراً ببلاد شمال أفريقيا ، كما ضمت الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية والبندقية ، وخضعت كل جزر البحر الأبيض المتوسط للحكم الإسلامي ، وعندما أسلم المغول ، كانوا للإسلام داعين ومبشرين له بين قبائلهم ، وأقاموا تحت ظلاله الإمبراطوريات والممالك الإسلامية بأفغانستان وباكستان وشبه القارة

* جمهورية مصر العربية .

الهندية وبالملتان وبنغال وآسيا الوسطى وأذربيجان والقوقاز والشيشان وفارس وغيرها من بلدان المشرق الإسلامي ، حيث أقاموا الحضارة الإسلامية المغولية والتركية . وكان تيمور لنك قد أقام الإمبراطورية التيمورية ، وكانت عاصمتها سمرقند بوسط آسيا ، وقد حكم إيران والعراق والشام وحتى الهند . وكانت وقتئذ طرق القوافل التجارية العالمية تحت سيطرة المسلمين ، سواء طريق الحرير الشهير أو تجارة المحيط الهندي بين الشرق الأقصى وشرق أفريقيا . كما استطاع العثمانيون غزو رومانيا والصرب والبوسنة والهرسك والمجر وألبانيا واليونان وجورجيا وكرواتيا وأجزاء شاسعة من روسيا " القوقاز " وأوكرانيا " القرم " كما حاصروا فينيا قلب أوربا المسيحية . وكل هذا فضلاً عن بلوغ التتار المسلمين القوة التي مكنتهم من محاصرة موسكو وغزوها لولا قبول أهلها دفع الجزية للتتار المسلمين .

وما تبع ذلك من علو مكانة المسلمين وزيادة قوتهم وهيبتهم بين الأمم وما عاد على بلادهم من خيرات : روى أبو عبيد بإسناده عن سهيل بن أبي صالح ، عن رجل من الأنصار ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وهو بالعراق : أن أخرج للناس أعطياتهم . فكتب إليه عبد الحميد : إني قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقي في بيت المال مال . فكتب إليه : أن انظر كل من أدان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه . قال : قد قضيت عنهم وبقي في بيت المال مال . فكتب إليه : أن زوج كل شاب يريد الزواج . فكتب إليه : إني قد زوجت كل من وجدت وقد بقي في بيت مال المسلمين مال . فكتب إليه بعد مخرج هذا : أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه ، فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه ، فإنا لا نريدها لعام ولا لعامين . وفي واقعة مشابهة ، وقف هارون الرشيد يوماً ينظر إلى السماء فرأى سحابة تمر فخاطبها قائلاً : أمطري أنى شئت فسيأتني خراجك .

بعث جورج الثاني ملك إنجلترا والنرويج والسويد ، برسالة إلى السلطان الأموي هشام الثالث في الأندلس ، جاء فيها : بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عن الرقي العظيم التي تتمتع بفيضه معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه

الفضائل ، لتكون بداية حسنة لاقتفاء أثركم ، لنشر العلم في بلادنا ، التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز ، لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم ، وفي حماية الحاشية الكريمة ، وقد أرفقنا الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها ، مع التعظيم والحب الخالص ، من خادمكم المطيع جورج الثاني .

ويحكي لنا التاريخ أن امرأة مسلمة ، أسرها الروم ، أطلقت صيحة وامعتصماه ، فما أن سمعها المعتصم حتى هبَّ من بغداد بجيش قوي خاض به المعارك حتى خلصها من الأسر ، وهذه الواقعة ليست الفريدة من نوعها فقد أدبت الدولة الإسلامية كل من اعتدى على كرامة أي من أبنائها ، أو على دبلوماسي من سفرائها ، وهذا ما فعلته مع بني قينقاع لاعتدائهم على عرض امرأة مسلمة ، كما جردت حملة عسكرية لمعاقبة قرية مؤتة ، لأنهم قتلوا واحداً من المسلمين هو الحارث بن عمير الأزدي ، وعندما أشيع أن عثمان بن عفان قتل يوم الحديبية ، قرر الرسول عليه الصلاة والسلام شن حرب على قريش ثاراً له . وفي واقعة أخرى ، أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه رسالة إلى كسرى قال فيها : أسلم تسلم وإلا جئتك برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا ، فلما قرأ كسرى الرسالة أرسل إلى ملك الصين يطلب المدد والعون والنجدة فرد عليه ملك الصين قائلاً : يا كسرى لا قوة لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال من أماكنها لخلعوها . لما أسر الكفار حبيب بن عدي وأرادوا قتله استمهلهم ليصلى ركعتين قبل الشهادة فركع ركعتين ثم قال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعاً لزدت ، اللهم أحصيهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، ثم أنشد : ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي .

بعث نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب رسالة كتب فيها : أما بعد . فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ، وذلك لضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي هذا ، فرد ما حصل لك من أموالها ، وافتد نفسك وإلا فالسيف بيننا وبينك . فلما قرأ الرشيد الكتاب اشتد غضبه ثم كتب

على ظهر الكتاب . من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون ما تسمعه . ثم ركب من يومه وأسرع حتى نزل على مدينة هرقلة وأوطأ الروم ذلاً وبلاءً وقتل وسبى وذل نقفور الذي طلب الموادعة على خراج كما كانت تفعل الملكة من قبله فأجابه . ولبيان مدى الحرص على عدم تدخل قوى أجنبية في الخلافات بين المسلمين ، فقد أرسل قيصر الروم لمعاوية قائلاً : علمنا بما وقع بينكم وبين علي بن أبي طالب ، وإنا لنرى أنكم أحق منه بالخلافة ، فلو أمرتني أرسلت لك جيشاً يأتون إليك برأس علي . ورد معاوية على هرقل قائلاً : أخان تشاجرا ، فما بالك تدخل فيما بينهما ، إن لم تخرس أرسلت إليك بجيش أوله عندك وآخره عندي ، يأتونني برأسك أقدمه لعلي . سئل البطل التاريخي نور الدين محمود زنكي ، لماذا لا تبتسم ؟ قال : كيف ابتسم والمسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس راسف في قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الأعداء . وهذا غيض من فيض فلا يتسع المجال لذكر فضل المسلمين والحضارة الإسلامية على العالم بأسره في شتى مجالات الحياة .

فالمسلم يدافع عن أخيه المسلم ويمنع عنه الظلم ، في أي بقعة أو مكان من العالم ، مهما تباعدت الديار ومهما اختلفت الأجناس والألوان والألسنة ، وأي اعتداء على أي مسلم فهو اعتداء على المسلمين أجمع ، ومن قتل نفساً مسلمة ، كمن قتل المسلمين أجمع ، يجب التصدي إليه والاقتصاص منه سواء كان القاتل فرداً أو جماعة ، وأي اعتداء على أي أرض مسلمة فهو اعتداء على أرض المسلمين أجمع ، فإذا استغاث مسلمو فلسطين أو كوسوفو أو الشيشان أو الفلبين أو الهند أو كشمير أو مسلمو أي دولة من دول العالم وجب على سائر المسلمين أن يهبوا عن بكرة أبيهم ليدافعوا عنهم ، وقادة الجهاد الإسلامي أمثال صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وكثيرون غيرهما لم تكن حركتهم الدائبة ومعاركهم المستمرة ، لقطر دون آخر ، بل كانت في نطاق الوطن الإسلامي كله ، ولقد سجل التاريخ الإسلامي عدة حوادث تدور حول ممارسة الدولة الإسلامية لسيادتها في هذا المضمار مما جعلها محل توقير ورهبة من الخصوم ، وهذا الأمر مرتبط بإمكانيات الجماعة المسلمة ففي حالات

الضعف كان كل ما يملكه الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقول : صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة أو يدفعهم إلى الذهاب إلى النجاشي الذي لا يظلم عند أحد .

أما الشاهد على الحالة الثانية ، فقد تفككت دولة المسلمين وصارت عدة دول أو دويلات متفرقة تمزقها الصراعات والخلافات ، لكل منها نظامها وقوانينها ورؤيتها الخاصة ، ولكل منها مواقفها المنفردة ، ويعيش أغلب سكانها فقراً وجهلاً ومرضاً لا يعيشه أي من سكان العالم . ولكي تعرف ما كنا عليه ، وما صرنا إليه ، نقارن بين ما ترتب على صيحة وامعتصماه وقتئذ ، وما يحدث للمسلمين رجال ونساء وأطفال من العدو الإسرائيلي ، وما يحدث في الدول التي تسكنها أقليات مسلمة ، وما يحدث في بعض دول الإسلام التي يحكمها حكام ليس لهم من الإسلام إلا الاسم . آلاف الفلسطينيين قتلوا وآلاف غيرهم جرحوا وآلاف مؤلفة اعتقلوا ، وصيحة وامعتصماه دوت في كل شبر من بقاع الأرض ، في كل بيت وفي كل شارع وفي كل حي وفي كل مدرسة ومؤسسة ومستشفى وثكنة عسكرية أطلقتها الجماهير المسلمة التي خرجت إلى الشوارع منددة بالعدوان الإسرائيلي الغاشم على الشعب الفلسطيني الأعزل ، أطلقتها بعض الدول والأنظمة والأشخاص من غير المسلمين ومن غير المنتمين للإسلام ، أطلقتها الأرامل والثكالى واليتامى ، أطلقها من هدمت منازلهم ودمرت ممتلكاتهم واعتقل أبناؤهم ، أطلقها المحاصرون الذين منع عنهم الماء والطعام والدواء ، أطلقها كل فتى وفتاة أقدما على الاستشهاد في سبيل الله ليدفعا عن وطنهما ظلم معتد غاصب ، لا يراعي إلاً ولا ذمةً ولا حرمةً ولا ديناً ولا خلقاً ولا أياً من الأعراف والمواثيق الدولية ، أطلقتها أرواح الشهداء في كل مجزرة أو مذبحة ارتكبها أعداء الإسلام ضد المسلمين ، أطلقها كل مهاجر ترك ماله ووطنه وهاجر ليبحث عما افتقده في بلاده من حرية دينية وسياسية ، أو عن سبل أفضل للمعيشة ، فلم يجد إلا الذل والهوان والاعتداء على النفس والممتلكات ، لكونه مسلماً ولكون للطرف المعتدي حقد وتعصب ضد الإسلام والمسلمين ، كل هذا الصياح لم يجد آذاناً صاغيةً لمعتصم واحد من قلب أكثر من مليار مسلم يهب للدفاع عنهم ، فمن لهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا

يبصرون بها ولهم قلوب لا يفقهون بها ، فهم كالأنعام بل أضل سبيلاً ، قال تعالى : (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ) [الأعراف : ١٧٩] ، هل تجرأ أحد من ملوك وحكام المسلمين على تجريد جيشه ، لردع اليهود عما فعلوه ويفعلوه حتى يومنا هذا في فلسطين ولبنان ولكي يسترد الأرض المسلوبة ، ولوقف المجازر التي حدثت في البوسنة والهرسك ، والحرب الأمريكية على أفغانستان ، ولصد الانتهاكات التي حدثت للعراقيين أبان الغزو الأمريكي ، ومن قبل لمنع غزو العراق لدولة الكويت ، والتي تعتبر من أعظم الكوارث التي أصابت المسلمين ، في عصرنا الحالي ، أو لمنع بشار وحفتر من قتل أبناء شعوبهما ، ولإيقاف الصراع الدائر على السلطة والحرب الدائرة بين حميدتي والبرهان في السودان ، والذي بين الإمارات والسعودية من جانب ، واليمن من جانب آخر ، هذا هو حال المسلمين اليوم ، فهل هذا يستدعي أن يكون لهم عزة ، فيما بينهم وفيما بينهم وبين سائر الأمم !!!! وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : " يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال قلنا : يا رسول الله ! أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال أنتم يؤمئذ كثير ولكن غثاءً كغثاء السيل ، تنتزع المهابة من قلوبكم لعدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال قلنا وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت " .

فضلاً عما سبق ، فقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم في سورة المنافقون آية ٨ : (وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ، وهذه حقيقة لا تقبل الشك ولا الجدال ، فعندما يتواجد المؤمنون كيفما كان الرعيل الأول من المسلمين ، وتكون لهم دولة أو عدة دول كل منها كتلك التي أنشاها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة ، وكلهم على قلب رجل واحد ، ويأخذون على عاتقهم الدعوة إلى الله في ربوع المعمورة ، لا يهابون الموت في سبيل الله ، والدنيا هي طريقهم للخلود في جنة النعيم ، وقتئذ تكون لهم العزة . وكما قال الإمام مالك : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . وقوله سبحانه وتعالى : (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) بإعادة حرف الجر ، لتأكيد أمر هذه العزة ،

وأنها متمكنة منهم ، لأنها مستمدة من إيمانهم بالله وحده ، يقول الراغب : العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب ، وهي صفة نفسية يحس بها المؤمن الصادق في إيمانه ، لأنه يشعر دائماً بأنه عبد الله وحده ، وليس عبداً لأحد سواه ، ومن لا يشعر بالعزة فليراجع إيمانه ، فالمؤمنون الصادقون أعزاء ولو كانوا في المال والجاه فقراء . وقال تعالى في سورة آل عمران آية ٢٦ : (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، كل الأمور طوع مشيئتك وقدرتك ، تعز من تشاء بطاعتك وتذل من تشاء بمعصيتك ، تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر ، وتعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر ، تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع ، فأنت المتصرف في شئون خلقك لا راد لقضائك ولا معقب لحكمك وإنك على كل شيء قدير . قال تعالى : (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ) [الحج : ١٨] ، أي من يذله ويهنه الله فلا يكرمه أحد ، فالله يكرم ويهين ، والسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته . قال الفخر الرازي : وقوله تؤتي الملك من تشاء محمول على جميع أنواع الملك فيدخل فيه ملك النبوة وملك العقل والصحة والأخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك المحبة وملك المال وذلك لأن اللفظ عام فالتخصيص من غير دليل لا يجوز . كما قال تعالى منكراً سلوك من يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، بهدف أن يجدوا عندهم القوة والنصرة والمنعة ، بأن العزة لله جميعاً (ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) [النساء : ١٣٩] ، ففي فترة من الفترات التجأت بعض دولنا الإسلامية إلى بلاد الشرق الشيوعي ، لتأخذ منها منهاجها في إدارة شئونها ، وفرضته على حياة شعوبها ، وهذه بلاد حكومات وشعوب لا يؤمنون بالله ، وبعد فترة وجيزة من الزمن ، إذ بالشيوعية تسقط وتهوى في عقر دارها ، كنظرية وكتطبيق وكدولة عظمى ، ولم تفق هذه الدول إلا على تخلف وفقر وهزائم ألحقت بها في مختلف المجالات ، ثم التجأت نفس هذه الدول بعد ذلك إلى بلاد الغرب الرأسمالي لتأخذ منه أسوأ ما لديه ، ولتعيش على استهلاك منتجاته ، وهذه الدول لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر ، بل بعضها تشرع للمنكر وتقننه وترسخ وجوده ، وإن لم يسقط الغرب وتتهاوى حضارته

إلى الآن ، فسرعة الانهيار وبطؤه متعلق بمشيئة الله تعالى وإرادته ، وستجري فيها سنن الله تعالى التي جرت في الأمم البائدة ، وستزول يوماً ما كما زالت حضارات جمة قبلها ، قال تعالى : (سُنَّةَ ٱللَّه فى ٱلَّذينَ خَلَوْا من قَبْلُ وَلَن تَجدَ لسُنَّة ٱللَّه تَبْديلاً) [الأحزاب : ٦٢] ، وقال تعالى : (أَفَلَمْ يَسيرُوا۟ فى ٱلأَرْض فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَاقبَةُ ٱلَّذينَ من قَبْلهمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ منْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فى ٱلأَرْض فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسبُونَ) [غافر : ٨٢] ، فلا هؤلاء ولا هؤلاء مهما أوتوا من قوة ومهما بلغوا من رفاهية في مستوى المعيشة ينطبق عليهما وصف الخيرية ، فالخيرية التي وصف بها عز وجل الأمة الإسلامية منوطة بتحقيق أمرين أساسين أولهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وثانيهما الإيمان بالله تبارك وتعالى وبجميع ما أمره به . قال تعالى في سورة آل عمران آية ١١٠ : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمنُونَ بِٱللَّه) .

أخيراً إن الإسلام يأبى على معتنقيه أن يستذلوا ، بل إنه لم يجعل في قلب المسلم مكاناً للذل ، إلا ذل التواضع والرحمة لأخيه المسلم (أَذلَّة عَلَى ٱلْمُؤْمنينَ أَعزَّة عَلَى ٱلْكَافرينَ) [المائدة : ٥٤] ، وليس بمعنى أذلة هنا أنهم مهانون ، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب للمؤمنين ، وقوله أعزة جمع عزيز وهو المتصف بالقوة والامتناع عن أن يغلب أو يقهر . قال الطيبي : إن قوله تعالى أعزة على الكافرين جيئ به للتكميل ، لأنه لما وصفهم قبل ذلك بالتذلل ، ربما يتوهم أحد أنهم أذلاء محقرون في أنفسهم ، فدفع ذلك الوهم ، بأنهم مع ذلتهم على المؤمنين ، أعزة على الكافرين . وقال تعالى في سورة الفتح آية ٢٩ : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّه وَٱلَّذينَ مَعَهُ أَشدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ) ، وفيما عدا ذلك فلا ذل ولا استذلال ، إنما عزة واعتزاز على كل من في الأرض . وأولى خطواتنا لاسترداد عزتنا هي العودة إلى الإسلام وتطبيقه كاملاً في حياتنا ، بجهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار والمنافقين وسائر أعداء الدين ، فمن سلك سبيل رسول الله عليه الصلاة والسلام في الجهاد عز ، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : " إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه من رقابكم حتى تراجعوا دينكم " .

ملامح العلاج بالقرآن في التأثر به وقبول الدعوة إلى اللّه

إعداد : الدكتور محمد نعمان حسن المدني *

أهمية دور العلاج بالقرآن في التأثر بالقرآن وقبول الدعوة :

هذا الموضوع له أهميته الكبيرة في الدعوة إلى الله والتأثير على الآخرين بالقرآن [1] ، فهو يخدم جانبين مهمين :

الأول : تلمس حال المدعوين وحل مشكلاتهم وتلبية حاجاتهم :

وهذا الأمر مما يعين الداعية في طريقه في الدعوة إلى الله ، فينطلق بدعوته فيسير بالمعروف بين الناس مؤلفاً قلوبهم بالمنافع والخير مؤكداً إنشائية الدعاة وحبهم للبشر .

وقد كان هذا شأن جميع الأنبياء ومعجزاتهم ، وأوضح مثال على هذا عيسى عليه السلام الذي كانت معجزته كما قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (وَأُبْرِئُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِـى ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ) [آل عمران : ٤٩] .

وصالح عليه السلام الذي كانت معجزته الناقة التي تشرب ماء القوم ، وتعطيهم لبناً وتترك لهم الماء يوماً قال تعالى عن صالح عليه السلام : (قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) [الشعراء : ١٥٥] .

غير أنه في معجزة موسى تأكدت بوضوح الأبعاد الكاملة للمعجزة وهي إثبات النبوة ، والقيمة الحركية ، والنفع الإنساني ، فهي التي تأكدت بها نبوته ، عندما استسقاه قومه ، قال تعالى : (وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُـلُّ أُنَـاسٍ

---

* أستاذ مساعد : قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ .

[1] تم الحديث عن علاج القرآن وشفائه كجانب من جوانب التأثير للقرآن ، في المبحث الخامس من الفصل الثالث ، فيمكن الرجوع له ضمن الحجيث هنا .

مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [البقرة : ٦٠] .

وعند إنجاء الله لهم من فرعون ، قال تعالى : (فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ) [الشعراء : ٦٣] .

وداود عليه السلام يقول الله عنه : (وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) [الأنبياء : ٨٠] .

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم تقول عنه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق [١] .

وقد ورد في قصة العرنيين [٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها [٣] ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها " ففعلوا فصحوا . . . [٤] .

" فالمعجزة وهي القدر الإلهي الذي يتحقق على أيدي الأنبياء ووسيلة إقناع الناس لم تكن خارقة كونية فحسب ، ولكنها كانت أيضاً منفعة مادية لكي يعمل من يمارس الدعوة بعد الأنبياء أن الإقناع مهما بلغت إمكانياته لا يكفي دون تقديم الخير للناس ليكون الإقناع بالعقل في الدعوة مع تأليف القلوب بالحب لها ، وأن نطاق الدعوة لن يتعدى نطاق المنافع التي يؤلف بها هؤلاء الدعاة قلوب الناس " [٥] .

---

١ صحيح البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي (٣) .

٢ العرنيين : نسبة إلى منطقة تسمى عرينة : اسم حي من اليمن ، وعرين : حي من تميم ، ينظر كتاب العين٢ /١١٧ .

٣ فاجتووها : حوى الرض حوى واجتواها : لم توافقه . وأرض جوية وجوية غير موافقة . وتقول : جويت نفسي إذا لم يوافقك البد . واجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة . وفي حديث العرنيين : فاجتووا المدينة : أي أصابهم الجوي ، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول ، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها . واجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة ، ينظر : لسان العرب ١٤/١٥٨ .

٤ صحيح مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب حكم المحاربين (١٦٧١) .

٥ قصة أصحاب الأخدود ، د . رفاعي سرور ، ص ٣ .

الثاني : ربط الناس بكتاب الله تعالى وعلاجهم به ليحصل لهم التأثر :

فالناس كما يعلم الجميع أن علاجهم وشفاءهم في كتاب الله تتعلق قلوبهم به ، ويعملون على قراءته ، وسماعته ، ومن ثم سيقفون عند هداياته وتوجيهاته ، ولذا نجد أن الله تعالى جمع بين شفاء القرآن وهدايته ، قال تعالى : (يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [يونس : ٥٧] . وقال تعالى : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِيۤ آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) [فصلت : ٤٤] .

يقول الشيخ السعدي : " هديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم ، ويعلمهم من العلوم النافعة ، ما به تحصل الهداية التامة وشفاء لهم من الأسقام البدنية ، والأسقام القلبية ، لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال ، ويحث على التوبة النصوح ، التي تغسل الذنوب وتشفي القلب " [1] .

المطلب الثاني :

نماذج لتفعيل دور العلاج بالقرآن :

المحور الأول : العلاج والشفاء بسورة الفاتحة :

عن خارجة بن الصلت [2] عن عمه [3] ، قال : أقبلنا من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتينا على حي من العرب ، فقالوا : أنبئنا أنكم من عند هذا الرجل بخير ، فهل عندكم دواء أو رقية؟ فإن عندنا معتوها [4] في القيود [5] ، قال : فقلنا : نعم ، قال : فجاءوا بالمعتوه في القيود ، قال :

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي،ص ٧٥١.

[2] خارجة بن الصلت البرجمي : بضم الموحدة وسكون الراء وضم الجيم ، الكوفي ، روى عن ابن مسعود ، وعن عمه ، ينظر : تهذيب الكمال : (٨/ ١٣) ، وتقريب التهذيب : (٢٨٣) .

[3] عمه : هو : علاقة بن صحار السليطي ، التميمي ، وقيل : عبد الله بن عثير بن قيس بن عبد قيس بن خفاف ، من بين عمرو بن حنظلة من البراجم ، روى له أبو داود والنسائي ، ولم يسمياه ، ينظر : تهذيب الكمال (٥٥٢/٢٢) ، وتقريب التهذيب : (٧٦٣) .

[4] المعتوه : هو المجنون المصاب بعقله ، ينظر : النهاية : في غريب الحديث : (١٨١/٣) .

[5] وهذا مما يؤكد أن هذه القصة غير قصة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مع سيد الحي – والتي سيأتي إيرادها – كما قال ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح : (٥٣٢/٤)، ومما يدل عليه أيضاً : اختلاف الراقي ، فهناك أبو سعيد كما سبق

فقرأت بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوةً وعشيةً [1] أجمع بزاقي [2] ، ثم أتفل ، قال : فكأنما نشط من عقال ، قال : فأعطوني جعلا ، فقلت : لا حتى أسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألته ، فقال : (كل لعمري [3] من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق [4] .

وعن أبي سعيد الخدري [5] رضي الله عنه قال : قال : انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها ، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ [6] سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيئ ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيئ ، فأتوهم ، فقالوا : يا أيها الرهط ! إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيئ لا ينفعه ، فهل عند أحدكم من شيئ ؟ فقال بعضهم [7] : نعم ، والله إني لأرقي ، ولكن – والله – لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم ، حتى تجعلوا

بيانه، وهنا علاقة بن صحار عم خارجة بين الصلت .

[1] عشية : أي : أول النهار وآخره ، فتح الباري : (٣٦٦/١١) ،ولسان العرب : (١١٨/١٥، ٦٠).

[2] جمع بزاقة ، والبزاق : بضم الباء هو البصاق ، وما يخرج من ماء الفم ، وفي البزاق ثلاث لغات : الزاء والصاد والسين ، والأوليان مشهورتان ، ينظر : عون المعبود : ٥١/١٣٧/٢) .

[3] اختلف العلماء في هذه الكلمة ، وخلاصة القول فيها : أنها يمين لغوية ، لا شرعية، وأنها جائزة ، ولا كفارة فيها ولا حرج في قولها ، ينظر : مجلة الجامعة الإسلامية ، عدد (٢٦) ، وينظر : فتح الباري : (٥٥٥/١١) ، ومعجم المناهي اللفظية : (٤٧٠) .

[4] رواه الإمام أحمد في مسنده : (١٥٦/٣٦) ح (٢١٨٣٦) ، وأبو داود في سننه : ح (٢٩٠١) ، والنسائي في السنن الكبرى : ح (٧٤٩٢) ، وابن حبان في صحيحه : (٤٧٤/١٣) ح (٦١١٠) ، والحاكم في مستدركه : (٥٥٩/١ – ٥٦٠) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود : (٧٣٨/٢) ح (٣٩٠١) ، ولأرنؤوط في صحيح ابن حبان : (٤٧٤/١٣) ح (٦١١٠) .

[5] هو : سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر ، الخزرجي أبو سعيد الخدري هو مشهور بكنيته أول مشاهده الخندق وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة ، كان فقهاء الصحابة ، توفي سنة ٧٤هـ . ينظر : الاستيعاب (٦٠٢/٢) ، والإصابة (٧٨/٣) .

[6] جاء في بعض الروايات أن الذي لدغته عقرب ، ينظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل : (١٢٤/١٧) ح (١١٠٧٠) ، وسنن الترمذي : (٣٩٨/٤) ح (٢٠٦٣) .

[7] هو أبو سعيد الخدري ، كما جاء مصرحاً به في المرجعين السابقين وغيرهما .

لنا جعلاً [1] ، فصالحوهم على قطيع من الغنم [2] فانطلق يتفل عليه ، ويقرأ : (ٱلْحَمْدُ للَّه رَبِّ ٱلْعَالَمينَ) [الفاتحة : ١] [3] ، فكأنما نشط من عقال [4] ، فانطلق يمَشي وما به قلبة [5] ، قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ، فقال : (وما يدريك أهنا رقية ؟) ، ثم قال : قد أصبتم ، اقسموا ، واضربوا لي معكم سهما) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم [6] .

وبين العلماء أن الفاتحة علاج لأمهات الأخلاق الذميمة : " فإذا قال العبد (ٱلْحَمْدُ للَّه) فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ، ومن عرف أنه (رَبِّ ٱلْعَالَمينَ) زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد ، وعرف أنه : (مٰلك يَوْم ٱلدِّين) بعد أن عرف إنه (ٱلرَّحْمٰن ٱلرَّحيم) زال غضبه ، وإذا قال : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) زال كبره ، وإذا قال : (وإِيَّاكَ نَسْتَعينُ) زال عجبه ، وإذا قال : (ٱهْدنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقيمَ) اندفع عنه شيطان الهوى ، وإذا قال : (صرَاطَ ٱلَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهمْ) زال عنه كفره ، وإذا قال : (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوب عَلَيْهمَ وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ) اندفعت بدعته [7] .

المحور الثاني : العلاج والشفاء بسور الإخلاص والمعوذتين :

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا

---

[1] الجعل : بضم الجيم وسكون المهملة ، هو : ما يجعل للإنسان من المال على عمل ، ينظر : عون المعبود : (١٠/٢٨٠) .

[2] وعددهما ثلاثون ، بعدد ركب الصحابة ، كما في مسند الإمام أحمد بن حنبل : (١٢٤/١٧) ح (١١٠٧٠) ، وسنن الترمذي : (٣٩٨/٤) ح (٢٠٦٣) ، إلا أنه ليس عند عدد الركب ، والسنن الكبرى : (٣٦٤/٤) ح (٧٥٣٢) ، وسنن ابن ماجه : (٧٢٩/٢) ح (٢١٥٦) .

[3] جاء في مسند أحمد : (١٢٤/١٧) ح (١١٠٧٠) ، وسنن الترمذي : (٣٩٩/٤) ح (٢٠٦٤) ، وسنن ابن ماجه : (٧٢٩/٢) ح (٢١٥٦) : أنه قرأها سبع مرات .

[4] نشط : بضم النون وكسر المعجمة ، أي : حل أو أقيم بسرعة ، والعقال : بكسر المهملة بعدها قاف ، هو : الجبل الذي يشد به ذراع البهيمة ، ينظر : فتح الباري : (٥٣٢/٤) .

[5] قلبة : بثلاث فتحات ، أي : علة ، وقيل : للعلة قلبة ، لأن الذي تصيبه يقلب من جنسه إلى جنس ، ليعلم موضع الداء ، ينظر : المرجع السابق .

[6] صحيح البخاري كتاب الطب باب النفث في الرقية (٥٧٤٧) ، ومسلم في السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (٢٢٠١) .

[7] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ١١٥ .

أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما : (قل هو الله أحد)، و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من حسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات [1] .

وعن عبد الله بن خبيب [2] رضي الله عنه قال : أصابنا مطر وظلمة ، فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا ، فخرج فأخذ بيدي ، فقال : (قل) فسكت ، قال : (قل) قلت : ما أقول ؟ قال : (قل : (قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً تكفيك كل شيئ [3] .

وفي رواية : قال : (قل أعوذ برب الفلق) حتى ختمها ، ثم قال : (قل أعوذ برب الناس) حتى تختمها ثم قال : (ما تعوذ الناس بأفضل منهما) [4] .

وعن زيد بن أرقم [5] رضي الله عنه قال : سخر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود ، فاشتكى لذلك أياماً ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلاً من اليهود سحرك ، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا ، فأرسل إليها من يجيئ بها . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه فاستخرجها ، فجاء بها فحللها قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال . فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات [6] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رجل من اليهود يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يأمنه ، فعقد له عقداً فوضعه في

---

[1] أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات (٥٠١٧) .

[2] عبد الله بن خبيب الجهني ، حليف الأنصار ، والد معاذ ، وذكره ابن حجر ، وذكر الحديث فقط . انظر : الإصابة : ٦٤/٤) .

[3] أخرجه النسائي كتاب الاستعاذة باب (١) رقم (٥٤٢٨) ، والترمذي كتاب الدعوات باب (١١٦) رقم (٣٥٧٥) وحسنه الألباني في سنن الترمذي (٢٨٢٩) .

[4] أخرجه النسائي كتاب الاستعاذة (٥٤٢٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٩٦) .

[5] زيد بن أرقم : بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج . مختلف في كنيته ، قيل : أبو عمر ، وقيل : أبو عمر ، وقيل : أبو عامر ، واستصغر يوم أحد . وأول مشاهده الخندق ، قيل : المريسيع ، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة . ينظر : الإصابة : ٤٨٨/٢ .

[6] أخرجه أحمد ٤/ ٣٦٧ (١٩٢٨٦) تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح بغير هذه السياقة ، والنسائي كتاب تحريم الدم باب سحرة أهل الكتاب (٤٠٨٠) .

بئر رجل من الأنصار ، فاشتكى لذلك أياماً فأتاه ملكان يعودانه فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما : أتدري ما وجعه ؟ قال : فلان الذي كان يدخل عليه عقد له عقداً فألقاء في بئر فلان الأنصاري ، فلو أرسل إليه رجلاً وأخذ منه العقد لوجد الماء قد اصفر ، فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال : إن رجلاً من اليهود سحرك والسحر في بئر فلان . قال : فبعث رجلاً فوجد الماء قد اصفر . فأخذ العقد فجاء بها فأمره أن يحل العقد ، ويقرأ آيةً ، فحلها فجعل يقرأ ويحل ، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فبرأ [1] .

قال ابن كثير : " ولعل هذا كان من شكواه عليه السلام حين سُحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم ، وجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وفضحهم " [2] .

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : قال : (ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ؟) قال : بلى يا رسول الله ؟ قال : (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) هاتين السورتين [3] .

---

[1] السلسلة الصحيحة ٦/٢٦٤ برقم (٢٧٦١) وذكر أنه مروي بعدة طرق ، وأن رواية ابن عباس أخرجها الثعلبي . نقلاً عن التلخيص للحافظ ٤/٤٠ . وأصل الخبر في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ، قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال : (يا عائشة ! أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفته فيه ، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن أعصم – رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا . قالت : وفيم ؟ في مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : في جف طلعة ، ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان) . قالت : فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه فقال : (هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين) . فال : فاستخرج قالت فقلت أفلا ؟ – أي تنشرت – فقال : (أما والله فقد شفاني الله وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً) البخاري كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٥٤٣٢) وكتاب الجزية والموادعة باب هل يعفي عن الذمي إذا سحر (٣٠٠٤) ، ومسلم كتاب السلام باب السحر (٢١٨٩) .

[2] تفسير القرآن العظيم : ٨/٥٣٧ .

[3] أخرجه النسائي في السنة كتاب الاستعاذة باب (٢) (٥٤٣٢) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٥٠٢٠) وفي الصحيحة (١١٠٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نفث بالمعوذات ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسي بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه [1] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما [2] .

وعن علي رضي الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة يصلي ، فوضع يده على الأرض فلدغته عقرب ، فتناولها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعله فقتلها ، فلما انصرف قال : (لعن العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره أو نبياً ولا غيره إلا لدغتهم) ثم دعا بملح وماء فجعله في إناء ثم جعل يصبه على إصبعه حيث لدغته ويمسحها ويعوذها بالمعوذتين [3] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي نظر إلى القمر فقال : (يا عائشة ! استعيذي بالله من شر هذا ؟ فإن هذا الغاسق إذا وقب) [4] .

قال الطيبي : إنما استعاذ من كسوفه لأنه من آيات الله الدالة على حدوث بلية ، ونزول نازلة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (ولكن يخوف الله بها عباده) [5، 6] .

---

[1] أخرجه البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٤٣٩) واللفظ له ، ومسلم كتاب السلام باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (٢١٩٢) .

[2] أخرجه الترمذي كتاب الطب عن النبي صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين (٢٠٥٨) . وحسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٤٧) .

[3] أخرجه ابن أبي شيبة في سنده ٤٤/٥ رقم (٢٣٥٥٣) ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٦٧) .

[4] أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المعوذتين (٣٣٦٦) ، صحيح سنن الترمذي (٢٦٨١) .

[5] أخرجه البخاري كتاب الكسوف باب الذكر في الكسوف (١٠١٠) ، ومسلم في الكسوف باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة (٩١٢) .

[6] تحفة الأحوذي (٢١٣/٩) .

قضايا مستجدة حول نفقة المطلقة

(الحلقة الأولى)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

(١) نفقة المطلقة على الزوج ما دامت في العدة :

واتفق العلماء قديماً وحديثاً على أن المطلقة الرجعية لها النفقة والكسوة والسكنى وما يلزمها لمعيشتها على زوجها ما دامت في العدة [١] ، سواءً كانت حاملاً ، أو حائلاً ، لبقاء آثار الزوجية خلال مدة العدة ؛ لقوله تعالى : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) [الطلاق : ١] ، (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) [الطلاق : ٦] .

والآية الأولى تدل على وجوب السكنى للنساء على أزواجهن حتى تنقضي عدتهن [٢] مباشرة وعلى وجوب النفقة تبعاً ؛ بما أنه حيثما وجبت السكنى شرعاً وجبت النفقة [٣] .

وأما الآية الثانية ففيها " المضارة " هي تقع في النفقة ، كما هي تقع في السكنى ، كذلك يكون التضييق فيهما أيضاً [٤] .

وبما قال عليه الصلاة والسلام لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها : " إِنَّمَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَى لِلْمَرْأَةِ إِذَا كَانَ لِزَوْجِهَا عَلَيْهَا الرَّجْعَةُ " [٥] .

وكذلك لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل

---

* عميد كلية البحث والتحقيق بجامعة العلوم ، غرها – غجرات .

١ " كان الطلاق رجعياً ، فلها النفقة والسكنى بالإجماع " (تفسير السمرقندي : ٤٦٢/٣ ، الموسوعة الفقهية الكويتية : ٣٥٣/٢٩) .

٢ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٥٤/١٨ ، التفسير المظهري : ٣١٩/٩ .

٣ فقة السنة لسيد سابق : ١٨٢/٢ .

٤ راجع : أحكام القرآن للجصاص : ٦١٣/٣ ، ومفاتيح الغيب للرازي : ٤٥٣/٦ ، وتفسير الماتريدي لأبي منصور الماتريدي : ٦٦/١٠ .

٥ أخرجه النسائي في الطلاق ، بَابُ الرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ ، برقم : ٣٤٠٣ ، وأبو عوانة في مستخرجه ، برقم : ٤٦٠٤ ، وسعيد بن منصور في سننه ، بَابُ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا أَيْنَ تَعْتَدُّ ، برقم : ١٣٥٨ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ، بَابُ الْمُطَلَّقَةِ طَلَاقًا بَائِنًا مَاذَا لَهَا عَلَى زَوْجِهَا فِي عِدَّتِهَا ، برقم : ٤٥٣١ .

المطلقة طلاقاً رجعياً أو بائناً ، ثم ثلاثاً أو أقل منها حتى تضع حملها [1] ؛ لقوله تعالى : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق : ٦] . وَجه الاستدلال أن الإنفاق يجب على الأب ؛ ولكن لايمكن الإنفاق على الحمل إلا إذا أنفق على أم الولد ؛ فيجب على الزوج أن ينفق على تلك الأم كما يجب عليه أجرة الرضاع [2] .

واختلفوا في وجوب نفقة المبتوتة غير حامل وسكناها في العدة ، فقال بعض أهل العلم منهم الحسن البصري ، وعطاء بن أبي رباح ، والشعبي ، وعمرو بن دينار ، وطاووس ، وعكرمة وإبراهيم رحمهم الله في رواية ، وأهل الظاهر ، وبه يقول أحمد وإسحاق وأبو ثور ، وابن ليلى وقتادة رحمهم الله : لا نفقة لها ولا سكنى ، وهو مروي عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما [3] ، وهو المذهب عند الحنابلة [4] ، واحتجوا بما ورد عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في المطلقة ثلاثاً ، قال : " ليس لها سكنى ولا نفقة " [5] .

وقال بعض أصحاب العلم : لها السكنى ولا نفقة لها فرضاً واجباً وحقاً لازماً ، وهو قول الإمام مالك والإمام الشافعي رحمهما الله ، وهو المذهب عند المالكية والشافعية ، ورواية عند الحنابلة [6] ، وبه قال الليث ابن سعد والأوزاعي ، وأبو عبيدة ، ومحمد بن جرير ، وابن أبي ليلى

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٦٨/١٨ ، تفسير السمرقندي : ٤٦٢/٣ ، الموسوعة الفقهية الكويتية : ٢٧٤/١٦ .

[2] الموسوعة الفقهية الكويتية : ٥٧/٤١ ، نقلاً عن المهذب : ١٦٤/٢ ، نهاية المحتاج : ٢١١/٧ ، المغني لابن قدامة : ٢٨٨/٩ .

[3] الترمذي ، باب في المطلقة ثلاثاً ، رقم : ١١٨ ، مفاتيح الغيب للرازي : ٥٦٤/٣ ، تفسير الثعلبي : ٣٤٠/٩ ، شرح صحيح مسلم للنووي : ٩٦/١٠ ، بدائع الصنائع : ١٦/٤ ، ٢٠٩/٣ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٢٧٥/٤ ، عمدة القاري للعيني ، كتاب العدة ، باب قصة فاطمة بنت قيس : ٣٣٩/١٤ .

[4] الإنصاف : ٣٦١/٩ .

[5] أخرجه مسلم ، باب المطلقة ثلاثاً ، برقم : ٤٤ – ١٤٨٠ ، والترمذي ، باب في المطلقة ثلاثاً ، برقم : ١١٨٠ ، وقال : هذا حديث حسن ، والنسائي ، برقم : ٣٤٠٤ ، وابن ماجه ، برقم : ٢٠٣٥ .

[6] الترمذي ، باب في المطلقة ثلاثاً ، برقم : ١١٨٠ ، حاشية الدسوقي : ٥١٥/٢ ، شرح الخرشي : ١٩٢/٤ ، المهذب : ١٦٤/٤ ، المغني لابن قدامة : ٢٨٨/٩ .

رحمهم الله في رواية [1] ، واحتجوا على وجوب السكنى لها بكتاب الله ، وهو قوله تعالى : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) [الطلاق : ١] ، وكذلك بعموم قوله تعالى : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) [الطلاق : ٦] . وجه الاستدلال أن السكنى لكل مطلقة من غير تقييد ، ومنها البائن غير الحامل أيضاً .

وأما النفقة فقد خص بها الله تعالى أولات الأحمال ، فقال : (فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق : ٦] . وقال الإمام الشافعي رحمه الله : " ولا نفقة لها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها " ، واعتل بأن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها لم يجعل لها النبي صلى الله عليه وسلم السكني ؛ لما كانت تبذو على أهلها [2] وفي رواية للبخاري وغيره : أن عائشة رضي الله عنها عابت ذلك أشد العيب وقالت : " إِنَّ فَاطِمَةَ كَانَتْ فِي مَكَانٍ وَحْشٍ ، فَخِيفَ عَلَى نَاحِيَتِهَا ، فَلِذَلِكَ أَرْخَصَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "[3] . وهذه الرواية تدل على أن سبب الإذن في انتقال فاطمة رضي الله عنها أنها كانت في مكان وحش ، وقد وقع في رواية لأبي داود " إنما كانَ ذلك مِن سوءِ الخُلقِ " [4] .

واستدلوا أيضاً بما رواه مالك ومسلم من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، وفيه : " ليس لك عليه نفقة " وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك [5] ، ولم يذكر هذه الرواية إسقاط السكنى ، فبقي حكم السكنى لها عملا بعموم قوله تعالى : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ) [الطلاق : ٦] [6] .

وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم عمر ، وابن مسعود ، وجابر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : لها النفقة والسكنى جميعاً ،

---

[1] الترمذي ، باب في المطلقة ثلاثاً ، برقم : ١١٨٠ ، تفسير الثعالبي : ٣٤٠/٩ .
[2] أخرجه البخاري في الطلاق ، بَابُ قِصَّةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ ، برقم : ٥٣٢٥ .
[3] الترمذي ، باب في المطلقة ثلاثاً ، برقم : ١١٨٠ .
[4] أبو داود ، بَابُ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رقم : ٢٢٩٤ .
[5] صحيح مسلم ، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ، رقم : ٣٦ – ١٤٨٠ ، موطأ الإمام مالك ، باب في نفقة المطلقة ، رقم : ٢١٥٥/٥١٩ .
[6] الموسوعة الفقهية الكويتية : ١١٤/٢٥ .

فرضاً واجباً وحقاً لازماً ، وهو قول سفيان الثوري ، وشريح القاضي ، وسعيد بن المسيب ، وحماد ، والنخعي ، وأهل الكوفة ، والحسن بن صالح ، وابن شبرمة رحمهم الله ، وابن أبي ليلى رحمه الله في رواية ، وهو رواية عن أحمد رحمه الله ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله ، وهو المذهب عند الحنفية [1] .

وحجتهم كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة رضي الله عنهم والقياس ، كل ذلك كما يلي :

وعلماً بالقارئ أولاً أن القائلين بوجوب النفقة والسكنى كلتيهما للمبتوتة استندوا في إيجابهما لها بما استند الشافعية والمالكية بوجوب السكنى لها دون النفقة ، وطريقة احتجاج الحنفية ومن معهم ستأتي عن قريب :

وأما القرآن الكريم ، فقال تعالى : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) [الطلاق : ٦] .

هذه الآية الكريمة انتظمت الرجعية والمبتوتة جميعاً ؛ لأن الله تعالى قال هذا بعد قوله : (فَطَلِّقُوهُنَّ لعِدَّتِهِنَّ) [الطلاق : ١] وهذا يعمّ الطلاق الرجعي والبائن كليهما ، والدليل على ذلك أن يطلقها طاهراً من غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها ، ولم يفرّق بين التطليقة الأولى وبين الثالثة ، فإذا كان قوله تعالى : (فَطَلِّقُوهُنَّ لعِدَّتِهِنَّ) [الطلاق : ١] قد تضمن البائن ، ثم قال : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) [الطلاق : ٦] ، وجب ذلك للجميع من البائن والرجعي [2] .

ثم جاء في هذه الآية ذكر المضارة والتضييق ، فمن المعلوم أن المضارة تقع في النفقة كما هي في السكنى ، فكذلك يكون التضييق فيهما أيضاً [3] . وعلى هذا (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ) [الطلاق : ٦] أي : لا تظلموهن في النفقة والسكنى ، لتضيقوا عليهن فيهما [4] .

قال مفسر آيات الأحكام الإمام أبو بكر الجصاص : " إن السكنى لما كانت حقاً في مال وقد أوجبها الله لها بنص الكتاب ، إذ

---

[1] سنن الترمذي ، باب في المطلقة ثلاثاً ، برقم : ١١٨٠ .

[2] أحكام القرآن للجصاص : ٦١٣/٣ .

[3] راجع : نفس المصدر : ٦١٣/٣ ، ومفاتيح الغيب للرازي : ٤٥٣/٦ ، وتفسير الماتريدي لأبي منصور الماتريدي : ٦٦/١ .

[4] تفسير السمرقندي : ٤٦٢/٣ ، أحكام القرآن للجصاص : ٦١٣/٣ .

كانت الآية قد تناولت المبتوتة والرجعية ، فقد اقتضى ذلك وجوب النفقة ، إذ كانت السكنى حقاً في مال وهي بعض النفقة " [1] .

وقال في صدد وجوب النفقة للمبتوتة كما هي للرجعية بالاتفاق مستدلاً بآية : (وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ) [الطلاق : ٦] فقال : " قد انتظم المبتوتةَ والرجعية ، ثم لاَ تخلو هذه النَفقة من أن يكون وجوبها لأجل الحمل أو لأنها محبوسة عليه في بيتها ، فلما اتفق الجميع على أن النفقة واجبة للرجعية بالآية لا للحمل ؛ بل لأنها محبوسة عليه في بيته ، وجب أن تستحق المبتوتة النفقة لهذه العلة أيضاً .

ومن جهة أخرى ، وهي أن نفقة الحامل لا تخلو من أن تكون مستحقة للحمل أو لأنها محبوسة في بيته ، فلو كانت مستحقة للحمل لوجب أن الحمل لو كان له مال أن ينفق عليها من ماله كما نفقة الصغير في مال نفسه . فلما اتفق الجميع على أن الحمل إذا كان له مال كانت نفقة أمه على الزوج لا في مال الحمل ، دلّ على أن وجوب النفقة متعلق بكونها محبوسة في بيته . وأيضاً كان يجب أن تكون في الطلاق الرجعي نفقة الحامل في مال الحمل إذا كان له مال كما أن نفقته بعد الولادة من ماله ، فلمّا اتفق الجميع على أن نفقتها في الطلاق الرجعي لم تجب في مال الحمل وجب مثله في البائن " [2] .

ثم يُتأمل في آية الحمل من جهة أخرى ، وهي أن الأمر بالإنفاق على الحامل لا ينفي وجوب الإنفاق على غير الحامل ولا يوجبه أيضاً ، فيكون مسكوتاً موقوفاً على قيام الدليل ، وقد قام دليل الوجوب وهو ما سبق آنفاً [3] .

ثم جاء في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه زيادةً " (أَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ) ، فقراءته هكذا : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ وَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ مِنْ وُجْدِكُمْ) [الطلاق : ٦] [4] .

وأما الحديث فروى جابرٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الْمُطَلَّقَةُ ثَلَاثاً لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ " [5] . وقال عمر بن الخطاب رضي الله

---

[1] أحكام القرآن للجصاص : ٦١٤/٣ .
[2] أحكام القرآن للجصاص : ٦١٤/٣ – ٦١٥ .
[3] راجع : بدائع الصنائع : ٢١٠/٣ .
[4] راجع : بدائع الصنائع : ٢١٠/٣ .
[5] أخرجه الدارقطني ، كِتَابُ الطَّلاق وَالْخُلْع وَالإيلاءِ وَغَيْرِهِ ، ٣٩٤٩ . قال ابن

عنه : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " للمُطَلَّقَة الثلاث النَّفَقَةُ والسُّكْنَى ما دامت في العدة " ، وقد رواه أيضاً عائشة وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد رضي الله عنهم [1] .

وقد ورد في الباب آثار بعض الصحابة ؛ فروي عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما ، أَنَّهُمَا كَانَا يَقُولانِ : " الْمُطَلَّقَةُ ثَلَاثاً لَهَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَى " [2] . وعن عُمَر أنه قال : " لا نَدَعُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لا نَدْرِي أَحَفِظَتْ أَمْ نَسِيَتْ " ، وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَجْعَلُ لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةَ [3] . وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ : " مَا لِفَاطِمَةَ أَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ " يَعْنِي فِي قَوْلِهَا : لاَ سُكْنَى وَلاَ نَفَقَةَ [4] .

والدليل المعقول أن النفقة تابعة للعدة [5] ، كذلك السكنى تابعة لها ، لوجود علاقة النكاح في الجملة فيها ، فلما وجبت العدة وجبت النفقة والسكنى تبعاً لها على الزوج ؛ لأن التابع تابع [6] .

(للبحث صلة)

الجوزي : " ففيه حَرْبُ بْنُ أَبِي الْعَالِيَةِ ، قال يحيى بن معين : هو ضعيف " (التحقيق في مسائل الخلاف : ٣٠٤/٢) . وقال ابن التركماني : " اختلف قوله فيه ، كذا ذكره المزي وغيره ، فيرجع إلى غيره ، وقد وثقه عبيد الله بن عمر القواريري ، ويكفيه أن مسلماً أخرجه له في صحيحه ، وأخرجه له الحاكم في المستدرك " . (الجوهر النقي : ٤٧٧/٧ ، راجع لمزيد من التفصيل : إعلاء السنن : ١١ : ٢٩٥ ، ٢٩٦) .

[1] نصب الراية : ٢٧٣/٣ .

[2] سنن الترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُطَلَّقَةِ ثَلاَثاً لاَ سُكْنَى لَهَا وَلاَ نَفَقَةَ ، تحت رقم : ١١٨٠ ، سنن الدارمي ، بَابٌ فِي الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثاً أَلَهَا السُّكْنَى ، وَالنَّفَقَةُ أَمْ لا ، رقم : ٢٣٢٢ ، شرح معاني الآثار للطحاوي ، بَابُ الْمُطَلَّقَةِ طَلَاقاً بَائِناً مَاذَا لَهَا عَلَى زَوْجِهَا فِي عِدَّتِهَا ، برقم : ٤٥٢٣ ، المعجم الكبير للطبراني ، رقم : ٩٧٠٠ .

[3] أخرجه الترمذي في الطلاق ، باب في المطلقة ثلاثا لا سُكْنَى لَهَا وَلاَ نَفَقَةَ ، برقم : ١١٨٠ ، ومسلم ، باب المطلقة البائن لا نفقة لها : ٤٨٥/١ ، والدارقطني في الطلاق ، برقم : ٣٩٦٣ ، وعبد الرزاق في مصنفه ، باب عدة الحبلى ونفقتها ، برقم : ١٢٠٢٧ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ، برقم : ٤٥٢٢ .

[4] أخرجه البخاري في الطلاق ، بَابُ قِصَّةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ ، برقم : ٥٣٢٣ .

[5] ردالمحتار : ٦٠٩/٣ .

[6] الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري : ١٢٠/١ .

الخروج عن الأصل المعتاد لدى علماء العربية وأثره في اللغة العربية

(الحلقة الأولى)

الأستاذ محمد أبو طه المكي*

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان ، وأنزل القرآن في أحلى وأعرب لسان ، وجعله مخزن العلوم والفنون ، والصَّلاة والسلام على رسوله العربي سيد ولد عدنان ، وأفصح الإنس والجان ، وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان وإيمان إلى يوم الدين . أما بعد : فإن لغتنا العربية لغة القرآن الكريم كانت وما زالت لغة الجمال والذوق الرفيع ، وقد كانت منذ نشأتها لغة الأدب والعلم استخدمها الشعراء والأدباء منذ القدم ، وقدموا لنا تراثاً أدبياً وشعريا خُلِّد قائلوه على مدى العصور ، وقد كتب لهذه اللغة أن تعيش وتبقى ، كيف لا ؟ ، وقد حفظها الله تعالى ، حيث جعلها لغة القرآن الكريم ، حيث يقول الله – عز وجل – : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر : ٩] ، لغة القرآن التي اتَصفت بالبلاغة ، وهي التي تراعي أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ، فتراعي الموقف ، وتراعي حال المخاطب ، فهي تطيل في الكلام ، وتسهب إذا اقتضى الكلام ذلك ، وهي تختصر وتوجز إذا كان السامع يفهم ما يقال له ، فلا تكون هناك حاجة للشرح والإطالة ، فتحذف بعض أجزاء الكلام حتى لا يشعر السامع بالملل والسآمة ، وهي تقدّم وتؤخّر بعض الكلمات على بعضها ، وذلك لا يأتي اعتباطاً ، إنما لغاية بلاغية يقتضيها المقام والسياق . فنجد اللغة تخرج أحياناً عن الأصل المتفق عليه لدى علماء العربية ، وهذا الخروج لا يعدُّ تقويضاً لقوانين العربية وقواعدها ، وإنما يأتي لأغراض بلاغية يقصدها المتكلم ، وهذا ما يسمى الخروج عن الأصول المعتادة . لذلك فقد اخترت دراسة الخروج عن الأصل المعتاد لدى علماء العربية ومدى استعمال القرآن الكريم لهذه

* المحاضر بقسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، بنغلاديش ، والباحث بمرحلة الدكتوراه بفرع اللغويات بكليّة اللغة العربيّة وآدابها – بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

الأساليب ، والغرض البلاغي الذي يكمن وراءها ، والوقوف على مواطن الجمال والإبداع فيها . وذلك أنّ القرآن الكريم له تراكيبه الخاصة التي تنوعت فيها صور هذه الأصول التي خرجت عن صورها المعتادة من حذف وتقديم وتأخير وخلاف ظاهرة المطابقة ، بحيث تفرد في بنائه عن غيره من النصوص ؛ ولكي نتمثل في هذه المقالة الخروج عن الأصول المعتادة لدى العلماء العربية في ظاهرة الحذف في بعض الآيات القرآنية ؛ لكي يطّلع عليها الباحثون ومحبو اللغة العربية ، ويتدرّبوا عليها ويتمتعوا بها في دراسة القرآن الكريم وتدبّره ؛ وذلك أنّ كثيرا من طلبة العلم يشكل عليهم ظاهرة الحذف في آيات القرآن الكريم ؛ نظراً إلى ذلك يحتاج إلى البحث عن ظاهرة الحذف في آيات القرآن الكريم .

مفهوم الخروج عن الأصل المعتاد :

من المعلوم أن كلمة (الأصل) تدور معانيه في المعاجم العربية على أساس الشيئ [١] وقاعدته [٢] ، وما يُستندُ وجودُ ذلك الشيئ إليه [٣] . ثم أصبح في معناه الاصطلاحيّ يعني ضروباً مختلفة من الدلالة والأحكام ، ومنها : القانون والقاعدة المنطبقة على الجزئيات ، وعلى الدليل ، وعلى الحقيقة في مقابل المجاز ، وعلى الراجح بالنسبة إلى المرجوح [٤] وعلى الكثير بالنسبة القليل ، وعلى الوضع اللغوي في مقابل الاستعمال [٥] . وعليه ، لا يمكن مع هذا التعدّد الدّلاليّ إلاّ النظر في السياق الذي ترد فيه الكلمة فسيبويه – مثلاً – يستعمل (الأصل) بمعنى (حالة الوضع الأول للفظ) . وأما (الخروج على الأصل) فيأتي عنده بمعنى (حالة الوضع الأول للفظ) ، وذلك في سياق كلامه على إلقاء ضمة الياء على ما قبلها في (مخيُوط) و (مبيُوع) ، فيقول : (وبعض العرب يخرجه على الأصل ، فيقول :

---

[١] القزويني ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، " أصل " ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة : دار الفكر ، د – ت ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

[٢] الأصبهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب ، " أصل " ، مفردات ألفاظ القرآن ، دمشق : دار القلم ، ١٩٩٢م ، ج ١ ، ص ٧٩ .

[٣] الفيومي ، أحمد بن محمد ، " أصل " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير بيروت – لبنان ، المكتبة العلمية ، د – ت ، ج ١ ، ص ١٦ .

[٤] الكفوي ، أيوب بن موسى ، " أصل " ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية الناشر عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، د – ت ، ج ١ ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .

[٥] التهانوي ، محمد بن علي " أصل " ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، الناشر د . علي دحروج ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

مخيُوط ومبيُوع) [1] . والمراد من مصطلح الخروج على الأصل هنا ضم الياء وترك الإعلال ، أي حالة الوضع الأول للفظ . والخروج عن الأصل ورد عند ابن جني بمعنى العدول عن الأكثر إلى الأقل استعمالاً ، أو عن العام إلى الخاص ؛ وذلك نحو العدول عن استعمال (فَعِيل) إلى (فَعَال) في باب الصفة ، و (فَعِيل) في هذا الباب هي الأكثر استعمالاً ، وذلك فقال في معنى (فَعِيْل) ، نحو طَوَال ، فهو أبلغ معنى من طويل ، وعُرَاض ؛ فإنه أبلغ معنى من عريض ، وكذلك خُفَاف من خفيف ، وقُلَال من قليل ، وسُرَاع من سريع . فلما كانت (فَعِيل) هي الباب المطرد ، وأريدت المبالغة عُدلت إلى (فَعَال) فضارعت (فَعَال) بذلك فَعَّالاً ، والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله ، أما (فَعَّال) فبالزيادة ، وأما (فَعَال) فبالانحراف عن (فَعِيْل) [2] . وإذا أنعمنا النظر في دلالة المصطلح عند بعض البلاغيين وجدنا دلالات مختلفة ، فمثلاً يستعمل الجرجاني (الأصل) بمعنى (الكثير الغالب) فيقول : (أصل الحال أن يكون صفة ، وأصل التمييز أن يكون اسماً) [3] . وأما في باب التقديم والتأخير ، فيستعملها بمعنى (القاعدة والقانون) ، فيقول : (واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام) ، ويأتي (الأصل) عنده بمعنى (حالة الوضع الأول للتركيب) [4] .

ومن المعلوم أن الجملة في بنائها الأساسي تقوم على أركان أساسية هي الأصل الذي لا بناء للجملة بدونها ، وفي ذلك الصدد يقول د . تمام حسان : " للجملة عند النحاة ركنان : المسند إليه ، والمسند ، فأما الجملة الاسمية فالمبتدأ مسند إليه ، والخبر مسند ، وأما الجملة الفعلية ، فالفاعل أو نائبه مسند إليه ، والفعل مسند ، وكلٌّ ركنٍ من هذين الركنين عمدةٌ لا تقوم الجملة إلا به ، وما عدا هذين الركنين مما تشتمل عليه الجملة فهو فضلة ، يمكن أن يستغني عنه تركيب الجملة ،

---

[1] سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ج ٤ ، ص ٣٤٨ .

[2] الموصلي ، أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٠م ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

[3] الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ، تحقيق : د . كاظم بحر المرجان ، وزارة الثقافة ، العراق ١٩٨٢م ، ج ١ ، ص ٦٧٦ .

[4] الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق : محمود شاكر مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٠٧ .

هذا هو أصل الوضع بالنسبة للجملة العربية " [1] . علماً بأنّ الأصل في الجملة ذكر عناصرها الإسنادية ، والأصل أيضاً الإظهار ، والرتبة ، والإفادة ، وقد يعدل عن هذه الأصول المعتادة ، فيعدل عن الذكر بالحذف ، وهنا وجب التقدير ، وقد يعدل عن الإظهار ، وهنا يجب الإضمار ، وقد يعدل عن الرتبة بين عناصر الجملة بالتقديم والتأخير ، وهذا العدول عن الأصول المعتادة . ويشترط لجواز العدول والخروج عن الأصل أمن اللبس ؛ لتحقق الفائدة ، فلا يجوز الحذف إلا بوجود ما يدلّ عليه ، ولا يجوز الإضمار إلا بوجود ما يفسّره ، ولا يجوز التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى . والخلاصة أن الجملة في العربية لا تأتي على صورة تركيبية واحدة ، بل يعرض لها ما يخرجها عن الأصل ، وهذا الخروج عن الأصول المعتادة لا تأتي جزافاً إنما لفائدة ، فهي قد تضيف معنى جديداً إلى الجملة ، وقد تعرض ابن جني إلى ما يعرض إلى بناء الجملة من حذف وزيادة ، وتقديم وتأخير ، وأدرجه تحت باب " نقض المراتب إذا عرض هناك عارض " [2] . وقد تكلم الدكتور تمام حسان عن هذا الخروج عن الأصول المعتادة تحت باب" العدول عن الأصل والرد إلى الأصل [3] .

مفهوم الحذف :

الحذف لغةً : " حذف الشيئ يحذفه حذفاً ، قطعه من طرفه " [4] ، و " حذف الشيئ إسقاطه [5] " ، إن الأصل في الكلام هو الذكر ، ولا يجوز الحذف إلا بوجود قرينة لفظية تدلّ على المعنى ، والحذف يعني النقص في الجملة الأساسية ، ويلجأ إليه المتكلم ؛ لتجنب التكرار ؛ ولوضوح المعنى ، ولا يحصل الحذف في الجملة إلا عندما تكون العناصر الموجودة كافية الدلالة على المعنى ، وقد تكلّم علماء العربية عن الحذف ، حيث عدّه ابن فارس من سنن العربية . والحذف هو أهم الأصول الذي يخرج عن حالته المعتادة ، وهو لا يأتي في الجملة دون فائدة ، بل له

---

[1] حسان ، د . تمام ، الأصول ، دار الثقافة ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ١٣٨ .

[2] ينظر : الموصلي ، أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .

[3] ينظر : حسان ، د . تمام ، الأصول ، ص ١٤٤ .

[4] الأفريقي ، لابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مراجعة : عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، مادة : (حذف) ، ج ٤ ، ص ٩ .

[5] الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ،دار العلم للملايين، ١٣٩هـ،مادة : (حذف) ، ج ١،ص ١٢٠ .

قيمته ، إذ إنه يعطي القارئ والمتلقي فرصة ثانية لشحذ فكره ، وتشغيل عقله ، وتخيل ما يمكن له أن يتخيله . والشرط الأساسي في الحذف هو عدم الإخلال بالمعنى ، وهذا لا يتأتى إلا بوجود قرائن تدل على المحذوف . وقد اختلف علماء النحو حول جواز الحذف ، فمنهم من منع حذف العناصر الإسنادية في الجملة (العُمد) إلاّ إذا دلّ عليها دليل ، أما العناصر غير الإسنادية (الفضلة) فيجوز فيها الحذف ؛ لاستغناء الجملة عنها ، كالحال والتمييز والمفعول به . وللحذف شروط أهمها : (١) وجود دليل أو قرينة تدل على المحذوف (٢) ألا يكون المحذوف مؤكداً ، (٣) ألا يكون عاملاً ضعيفاً ، فلا يحذف الجار والمجرور ، ولا يحذف ناصب الفعل إلا في حالة كثرة الاستعمال ، ومع قوة الدلالة عليه ، (٤) ألا يكون عوضاً عن شيئ ، (٥) ألا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل ، وقطعه عنه ، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي [١] . وكما أن للحذف أهمية عند النحويين فهو ذو أهمية أيضاً عند البلاغيين ؛ بما يحدثه من تفاعل بين النص والمتلقي ، وهو في كثير من المواضع أبلغ من الذكر ، حيث يقول عبد القاهرالجرجاني [٢] الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك ألطف ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن . والحذف ضرب من ضروب الإيجاز " فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل [٣] .

الغاية من الحذف :

يقع الحذف لأغراض متعددة منها : الإيجاز ، والتخفيف ، وقد يأتي للتفخيم ، والتعظيم ، وتنزيه المحذوف عن الذكر ، أو تحقيراً له ، أو الخوف من ذكر المحذوف لأغراض أمنية ، ويلجأ الشعراء للحذف للحفاظ على الوزن الشعري . إذن فالغرض من الحذف هو ما يقتضيه المعنى والسياق ، " وإن الحذف لا يتيسر في كل موضع ، بل في بعض المواضع دون البعض الآخر ، وإجازة الحذف في بعض المواضع دون البعض الآخر دليل قاطع على أن الحذف لا يتم اعتباطاً أو تجاوزاً ، ولكن له

---

[١] ينظر : الأنصاري ، ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

[٢] الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ،ط ٣ ، ١٩٩٢م ، ص ١٤٦ .

[٣] أبو الفتح ضياء الدين الشيباني ، نصر الله بن محمد بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

دوافعه وأسبابه "[1] .

أنواع الحذف :

الحذف الواجب :

كحذف خبر المبتدأ بعد لولا : قال تعالى : (وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّه النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَت الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة : ٢٥١] . حيث امتنع فساد الأرض لوجود دفع الله . فحذف الخبر وجوباً ؛ لأن الجواب سد مسد الخبر وحل محله ، والخبر هنا كون مطلق . وكذلك قوله تعالى : (لَوْ لَا فَضْلُ اللَّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [البقرة : ٦٤] ،هنا حذف خبر المبتدأ (فضل) بعد لولا وجوباً ، والتقدير : لولا فضل الله حاضر أو موجود ، ولزم حذف الخبر لقيام العلم به . وكذلك قوله تعالى : (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) [البقرة : ٣٢] ، النصب في المصدر (سبحانك) وهو حذف واجب ، والتقدير : نسبّح سبحانك وهي مصدر حذف ناصبه ؛ لكثرة الاستعمال . وكذلك قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [البقرة : ٨٣] ،حيث حذف عامل النصب في المصدر (إحساناً) والتقدير : "وبالوالدين أحسنوا إحساناً "[2]) . وكذلك قوله تعالى : (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة : ٢٨٥] ، فقد جاء المصدر " غفرانك " منصوباً لنيابته عن فعل الأمر[3] الذي يفيد الدعاء وعلى ذلك ففي الكلام جملة محذوفة ، وتقدير الكلام قبل الحذف " اغفر لنا غفرانك "[4] . وحذف الفعل الناصب في أسلوب الإغراء : والإغراء أسلوب يستخدم للحث على فعل محمود ومحبوب ؛ مثل قولنا : الجهاد الجهاد ، والتقدير : الزم الجهاد ، يقول ابن هشام : " والإغراء هو تنبيه المخاطب على أمر محمود ؛ ليفعله ، وتقدير فعله عند النحاة (الزم) ، ويكون الإغراء بذكر المغرى به مكرراً أو غير مكرر ، فإذا وجد التكرار أو العطف وجب إضمار الناصب . " ويقال " الصلاة جامعة " فتنصب الصلاة بتقدير احضروا الصلاة . ويحذف عامل النصب في المصادر المنصوبة

---

[1] عفيفي ، د . أحمد ، ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، ص ٢٠٨ .

[2] الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،ط ٢ ، ١٩٩٢م ، ج ١ ، ص ٤٥٨ .

[3] الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ .

[4] الفراء ، أبو زكريا يحيى ، معاني القرآن ، تحقيق : أحمد نجاتي ، ومحمد النجار، الهيئة المصرية العامة ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

في أسلوب الإغراء نظراً لكثرة الاستعمال ، وشيوع هذا الأسلوب في اللغة[1] ، كما في قوله تعالى : (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [البقرة : ١٣٥] ، وقد جاء قوله " ملةَ " مَنصوباً على الإغراء على تقدير : " الزموا ملة إبراهيم [2] . وفي قوله تعالى : (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [البقرة : ١٣٧] ، فقد جاء قوله " صَبغة " منصوباً على الإغراء [3] ، والتقدير : الزموا صبغة الله ، " وقيل هو بدل من ملة إبراهيم " [4] . وحذف فعل التحذير عند تكرار العامل ، نحو : الخيانةَ الخيانةَ ، أي : احذر الخيانة . وحذف عامل المفعول المطلق نحو : صياماً وقعوداً ، أي صُمْ صياماً واقعُدْ قعوداً .

الحذف الجائز :

ويقع إذا دلّ عليه دليل أو قرينةٍ لفظية ، أو قرينة المقام . يقول سيبويه: " إنما أضمروا ما كان يقع مظهراً استخفافاً ؛ ولأن المخاطب يعلم ما يعني " [5] ، ومثل قولنا : (خيرَ مقدم) أي قدمتَ خير مقدم ، وهذا القسم " أنت مخيّر فيه بين إظهار العامل وحذفه ، فإن أظهرته فزيادة في البيان ، وإن حذفته فثقة بدليل الحال عليه " [6] ، وكذلك قولنا : (سحقاً وبعداً) والتقدير : سحقك الله ، وأبعدك الله ، وتأتي هذه المصادر غالباً في حالة الدعاء ، وأحياناً للتعبير عما في النفس ، مثل قولنا : (حمداً لله) ، (شكراً لك) .

الحذف السماعي :

وهو ما كثر استعماله ولا يتبع قاعدة محددة مثل قولنا : " أهلاً وسهلاً " أي : حللتَ أهلاً ونزلتَ سهلاً .

(للبحث صلة)

---

[1] الأنصاري ، ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ،١٩٦٧م ، ج ٤ ، ص ٧٩ .

[2] أبو البركات ابن الأنباري ، عبد الرحمن بن محمد ، البيان في إعراب القرآن ، تحقيق : د . عبد الحميد طه ، مراجعة : مصطفى السقا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، ج ١ ، ص ١٢٦ ، والبحر المحيط ، ج ١ ، ص ٦٥٦ .

[3] العكبري ، أبو البقاء ، التبيان ، ج ١ ، ت : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

[4] الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ .

[5] سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

[6] الموصلي ، أبو البقاء ابن يعيش بن علي ، شرح المفصل ، د . إميل بديع يعقوب ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

تجربتي في تعلم وتعليم اللغة العربية

أ . د . محمد أيوب الندوي *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد !

فأخوكم د . محمد أيوب الندوي أستاذ قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية في نيو دلهي ، العاصمة الهندية ، وكنت رئيس القسم لمدة ثلاث سنوات ثم مديراً للمركز الثقافي العربي الهندي بالجامعة . وهي جامعة حكومية أسسها المسلمون عام ١٩٢٠م .

أنا من مواليد كشمير الهندية ، ولغتي الأم هي الكشميرية ، وتعلمت اللغة الأردوية الهندية في المدرسة الحكومية ، ثم غادرت إلى مدينة لكناؤ في الهند ، والتحقت بالجامعة المعروفة بدار العلوم ندوة العلماء وتخرجت فيها ، ولذلك لُقبت بالندوي . وحصلت على الماجستير في الأدب الإنجليزي ثم في الأدب العربي ونلت درجة الدكتوراه في الأدب العربي .

أنا أدرّس اللغة العربية وآدابها بالجامعة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، ولم أغادر الهند إلا حينما تم تعييني أستاذاً للغة العربية في جامعة الدكتور عبد الرحمن السميط في زنجبار بتنزانيا . وإنما أذكر ذلك لأنني لم أتعلم اللغة العربية إلا في الهند وسوف أشاطركم تجربتي في تعلمها .

كنت أحب اللغة العربية منذ صباي مثلما يحب أي شخص هندي ، لأنها لغة القرآن الحكيم ولغة نبينا الكريم عليه السلام والتسليم . وتعلمت تلاوة القرآن الكريم بدون أن أفهم معانيها في مسجد القرية مع دراستي للعلوم العصرية في المدرسة الحكومية .

بدأت دراستي للغة العربية في ندوة العلماء حينما كنت ابن إحدى عشرة سنة . وكانت اللغة العربية مادة من المواد التي كانت تدرس هناك . وكانت لغة التدريس هي اللغة الأوردية ، ولكن الكتب التي ندرسها لتعلم اللغة العربية كانت باللغة العربية ودرسنا القواعد أيضاً منذ البداية

* بروفيسور قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي ،
Email: mayub@jmi.ac.in

لأن الهنود يدرسون اللغات في المدارس الحكومية بالقواعد . وربما ذلك سبب من أسباب الضعف في التحدث باللغة المستهدفة .

لقد حكم المسلمون الهند لأكثر من ثمانية قرون ، وخلال هذا الحكم الإسلامي جاء العديد من العلماء العرب وغيرهم من المسلمين والأولياء الصالحين إلى الهند ، واستقروا في أجزاء مختلفة في شبه القارة الهندية . وخلال هذا الحكم ، تم تكثيف الاتصال بين الناس ، وكان هناك تأثير اللغة العربية والفارسية على اللغات الهندية المختلفة .

ولما انتزع الإنجليز الحكم من المغول عام ١٨٥٧م عارضهم الهنود وخاصة المسلمون منهم ، وبما أن العلماء المسلمين كانوا يقودون الثورة الهندية عام ١٨٥٧م فكانوا عرضة للقتل والاغتصاب على أيدي الاستعمار الإنجليزي . وبعد إخفاق الثورة العظيمة ثورة ١٨٥٧م أصيب المسلمون بجمود تعليمي واجتماعي وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم ، فلم ير العلماء أمامهم طريقاً إلا فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية ، وبذلك استطاعوا الحفاظ على بقايا الحياة الإسلامية ومكافحة تيار الغرب المدني والثقافي ، وبعد استقرار الحكم الإنجليزي في بلاد الهند ومحاولة تنصيرهم للشعب الهندي خاف العلماء على الجيل الجديد للمسلمين وفكروا في إنقاذ أولادهم من الغزو الثقافي فأسسوا مدارس لهم خاصة .

وإن أول مدرسة إسلامية خاصة تأسست عام ١٨٦٦م باسم دار العلوم بديوبند ، وأسسها العالم الكبير الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، وكانت هذه المدرسة تدرس العلوم العربية الإسلامية ولم تكن اللغة الإنجليزية داخلة في المنهج إذ أنهم كانوا يعارضون كل ما يمت إلى الإنجليز المستعمر بسبب .

ثم تكاثرت المدارس الإسلامية في مختلف أنحاء الهند ، وقد كان لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية والحفاظ على تعاليم الإسلام وبقاء الثقافة الإسلامية في هذه البلاد .

ولكن لم يكن اهتمام معظم هذه المدارس إلا تدريس العلوم الدينية ، وكانوا يدرسون اللغة العربية وقواعدها من النحو والصرف باللغة الأردوية لأجل أن يستوعب الطلاب المصادر العربية للعلوم الدينية ، ولم يكن همهم أبداً التحدث بهذه اللغة ، ونتيجة لذلك وجد في الهند علماء كبار متبحرون في علوم التفسير والحديث والفقه وأصوله ،

ولكنهم بعيدون عن التحدث باللغة العربية كل البعد .

ولكن هناك استثناء في هذه المدارس في هذا المجال ، ألا وهو جامعة ندوة العلماء التي تأسست عام ١٨٩٨م ، فإن هذه الدار أُوْلت – منذ أول يومها – اهتماماً بالغاً بتعليم اللغة العربية كلغة حية منطوقة ، ونتج ذلك في وجود أجيال من العلماء الذين نطقوا بهذه اللغة مثل لغة العرب أو ما هو إليها أقرب .

ومن المدهش للكثيرين أن الإنجليز أسسوا جامعات مختلفةً في مختلف أنحاء الهند لأغراض لهم خاصة ، وأنهم فتحوا أقسام اللغة العربية أيضاً في هذه الجامعات . وبعد استقلال البلاد انتشرت شبكة الجامعات في الهند ، وبهذا نجد أن الهند تولي أهمية كبيرة واهتماماً بالغاً باللغة العربية ، لأن هذه اللغة تلعب دوراً هاماً في تعزيز العلاقات الثنائية بين الهند والعالم العربي . وبدأت الهند تهتم بتعليم اللغة العربية الحديثة وعلوم الأدب العربي لأجل الحفاظ على علاقاتها مع العالم العربي وتعزيزها . ويتم تدريس اللغة العربية في المدارس الإسلامية الهندية ، كما يجري تدريسها تقريباً في العديد من الجامعات والكليات الهندية في جميع أنحاء البلاد . وتدرس اللغة العربية حالياً في أكثر من ثلاثة آلاف مدرسة إسلامية ومدرسة حكومية على مستوى الشهادة الثانوية ، وفي أكثر من ٧٠ كلية و٣٥ جامعة على مستوى البكالوريوس والماجستير والشهادات العليا والدكتوراه .

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين الهنود يحبون اللغة العربية ويقدسونها تقديساً حتى لا يمكن لمسلم هندي أن يرى ورقة فيها كلمات عربية ، وهي مرمية على الأرض ، فهو يأخذها ويضعها في مكان مرتفع ، وكذلك يحترم المسلم الهندي شخصاً عربياً احتراماً بالغاً .

ومن دواعي تعلم اللغة العربية في الهند أن معظم المسلمين يتعلمون اللغة العربية للأغراض الدينية ، وإن الهندوس وكثيراً من المسلمين يتعلمونها للأغراض الدنيوية مثل التجارة مع العالم العربي أو للحصول على الوظائف في الدول العربية أو للعمل في الشركات المتعددة الجنسيات أو في مجال السياحة الطبية أو أغراض أخرى كثيرة .

ولا توجد في الهند مدارس للصغار تهتم بتعليم اللغة العربية . وإنما يتم تعليم اللغة العربية للراشدين وللكبار فقط . وكل ذلك يعتبر من أسباب الضعف للتحدث باللغة العربية .

ومن المعروف أن الهند هي شبه قارة وفيها لغات محلية تزيد عن ثلاث مائة ، وسبع عشرة منها لغات رسمية ، وإن اللغة الهندية لغة وطنية واللغة الإنكليزية لغة تواصل مشترك (Linguafranca) .

ومما يزيد الطين بلةً أن الطلاب الذين يلتحقون بالمدارس والجامعات هم من مختلف أنحاء البلاد ، فلغاتهم الأم مختلفة ، ونطقهم للأصوات مختلف ، فيصعب على معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها تدريب الطلاب على التحدث باللغة العربية .

فهناك مشاكل عديدة يعانيها المدرس أثناء تعليمه للغة العربية ، ونذكر بعضها لتكون الإشارة كافيةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

من المشاكل التي نعانيها – نحن أساتذة اللغة العربية في الهند – مشكلة النطق الصحيح للأصوات العربية .

فعلى سبيل المثال أغلبية الطلاب الهنود وحتى كثير من الأساتذة لا يفرقون بين نطق أصوات الذال والزاء والظاء والضاد فكلها زاء عندهم . فكلمة " الضالين " عندهم زالين . وكذلك لا يستطيعون أن ينطقوا العين ، بل ينطقونها همزة ، فالعَلَم والأَلَم عندهم سواء .

وبالنسبة إلى الطلاب الذين يأتون من بيئة اللغة الهندية فإنهم ينطقون أصوات الذال والزاء والظاء والضاد جيماً . فالذليل والجليل عندهم سواء .

وينطق كثير من الطلاب الذين يأتون من بيئة اللغة الهنديةِ المحلية في شرق الهند لا يستطيعون أن ينطقوا الشين ، وإنما ينطقونه سيناً .

وإن الطلاب الذين يأتون من بيئة اللغة الهندية لا يفرقون بين الحركات (الفتحة – الضمة – الكسرة) وحروف العلة (و – ا – ي) . فالعَلَم والعَالَم عندهم سواء .

وكذلك لا يفرق الطلاب من كشمير والبنجاب بين القاف والكاف ، حتى شاعر المشرق العلامة محمد إقبال كان ينطق اسمه إكبال .

وهناك مشاكل في دلالة الكلمات ، فهناك مفردات عربية كثيرة دخلت في اللغة الأردوية ، فبعضها بقيت مع مدلولها ، ولكن العدد الكبير من المفردات تغير معناها ، فهذه الإشكالية تسبب المشكلة في استخدام الكلمة في معناها الصحيح ، فعلى سبيل المثال كلمة مقابَلَة

معناه النزاع وملاقاة العدو بالأوردية ، وكلمة ملاقاة تعني مقابلة شخص . وكلمة دنيا تستخدم في معنى العالم ، وكلمة عورة بمعنى امرأة .

ومن الأنسب أن أذكر هنا أن المكونات لتعليم اللغة الأجنبية هي أربعة : المدرس ، والطالب ، والكتاب ، والبيئة . فإذا اعتبرنا تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في البلدان العربية ، وجدنا أن المدرس عربي والكتاب عربي والبيئة عربية ، وإن الطالب هو فقط غير عربي ، فنجد أن الطالب يستطيع أن يتعلم اللغة العربية بسهولة .

أما بالنسبة إلى تعليم اللغة العربية في الهند ، فنجد أن المدرس غير عربي ، والطالب غير عربي ، والبلد غير عربي ، وإن الكتاب فقط عربي ، وفي بعض الأحيان يكون الكتاب أيضاً مختلطاً بين اللغة العربية ولغة البلد . فلا نستطيع أن نتوقع من الطالب أن يتكلم باللغة العربية بطلاقة .

وهنا أود أن أشير إلى أن الذين يذهبون من الهند إلى البلدان العربية للدراسات العليا فبما أن أعمارهم تكون كبيرة فلا يستطيعون أن يتعلموا النطق العربي الصحيح . فإذا تم تعيينهم أساتذة فلا يفيدون الطلاب كبيراً .

ولكن هناك مبعثاً للأمل وهو أن الكتاتيب والمدارس الإسلامية التي يحفظ فيها الصغار القرآن الكريم ويتعلمون تجويد الأصوات العربية هي مثل المنارات التي تنشر نور الأمل لبقاء اللغة العربية ليس في الهند فقط ، بل في جميع أنحاء العالم ، فإن هؤلاء الطلاب حينما يتعلمون اللغة العربية فيتعلمونها بسرعة وبنطق سليم .

وأخيراً ألخص قولي وأقول في ضوء تجربتي لتعلم اللغة العربية إنه يجب الاهتمام بتعليم الأطفال السور القصار من القرآن الكريم بتجويد الأصوات العربية وبحفظ عدد كبير من الأحاديث النبوية والأدعية مع فهم معانيها إذا أمكن .

هذا واحد ، وثانياً لأبد أن نخلق بيئةً اصطناعيةً حيث ندرب طلابنا بالتحدث باللغة العربية ونهتم بتعليم الحوار باللغة العربية ، ولابد أن يكون كل ذلك باللغة الفصحى .

وفي أيامنا هذه نستطيع أن نستغل وسائل مختلفةً للتكنولوجيا ونُسمِع الطلاب الأنباء باللغة العربية في القنوات المعروفة وكذلك نُسمِعهم البيانات على لسان العرب الفصحاء باللغة العربية في اليوتيوب .

مراحل الشعر العربي حسب تدوين علم العروض

الدكتور محمد سعود الأعظمي الندوي *

يُعتبر علم العروض من العلوم التي استخرجها المسلمون ، وليس فيه أي إسهام لأي حكيم أو احتذاء لأي حضارة ، فوضع المسلمون أصولها ، وجعلوا منها فروعها ، حتى بلغ هذا العلم مبلغاً يُعرف به جيد الشعر من فاسده ، وحسنه من قبيحه . نشأ علم العروض في اللغة العربية على أيدي العالم الفذ خليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى ١٧٢هـ .

عدم حاجة علم العروض :

لم يكن العرب في العصر الجاهلي في حاجة إلى علم ، يعلّمهم فن النظم أو فن الشعر ، فقد كانوا يقولون الشعر عن سليقة أو ملكة كانوا يمتلكونها ، وطبقاً لأوزان أو بحورٍ يعرفونها ، ويدركون ما تحمله من زحافات وعلل مختلفة إدراكاً فطرياً .

وليست الحياة البدوية كانت تسمح لهم أن يفعلوا ذلك ، لأن الشعر ليس عندهم إلا كعلم أو فن يتوارثونه عن آبائهم وأجدادهم ، وهو كان سجل تاريخهم ، ومفخرة حياتهم ، وليس العصر عصر التدوين والتطوير للعلوم والفنون ، ولكن حينما نزل القرآن بلغة قريش فهبت رياح العلم والعرفان التي دعت المسلمين إلى صيانة القرآن ونشر علومه وفنونه فشكلوا العديد من العلوم الجديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبلُ حفظاً للغة العربية ، ودونوا كل ما سمعوا من كلام العرب شعراً ونثراً حينما سمعوا القول " الشعر ديوان العرب " ، لأن صيانته من أيدي العابثين منوطة بصيانة الدين والمعرفة بتاريخ العرب وحضارتهم .

ولعل معرفتهم الفطرية بلغتهم وفنون الكلام التي يتعاطونها هي التي جعلتهم يستغنون عن وضع القواعد والمصطلحات الملائمة للنحو والصرف والعروض والبلاغة وغير ذلك من علوم اللغة .

ومعنى ذلك أن أول ما قاله العرب من الشعر لم يكن خالياً من عروض أو وزن ، بسبب عدم اهتمامهم بتقنينه في علم أو وضعه في كتاب يحفظه من عوادي الزمان ، ويتوارثه الخلف عن السلف . فالشعر الجاهلي

* أعظم جراه – الهند .

جميعه موزون ومقفى ، لأن مبدعيه من الشعراء كانوا على دراية فطرية بأوزانه على تباينها واختلاف أشكالها ، وظل الأمر كذلك حتى انتشرت اللغة العربية بعد الإسلام في الأقطار المفتوحة في مشارق الأرض ومغاربها ، حيث دخلت أمم أجنبية عديدة في الدين الجديد ، واضطرت إلى استعمال اللغة العربية لتأدية الفرائض والشعائر والمناسك وقضاء الحاجات العامة ، وكان من نتيجة ذلك أن أخذ اللحن يشيع فيها ، بسبب ضعف معرفة المستعربين بالشعر العربي وأوزانه .

حاجة إلى تدوين علم العروض :

فهنا ظهرت الحاجة الماسة إلى جمع وتصنيف اللغة العربية ووضع مختلف القواعد التي تحفظها من الزلل والانحراف وسوء الاستعمال . فانكب ثلة من العلماء الأفذاذ على وضع علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض لصونها من شوايب التشويه ومساعدة الأعاجم على استعمالها على النحو الصحيح .

مراحل الشعر العربي حسب علم العروض :

وهذا أمرٌ لا يتناطح فيه عنزان أن أي علم أو أي فن لا يصل إلى مرحلة النضوح والكمال إلا بعد مرور بزمن الابتداء والتكوين ، ولكن إذا نظرنا في تاريخ الشعر العربي وجدناه أن الشعر العربي القديم الذي وصل إلينا كان في مرحلة النضوج منذ البداية ، لأن كلام شعراء العصر الجاهلي مثل أشعار امرئ القيس وقبله مهلهل بن ربيعة الذي يعد من أقدم شعراء العصر الجاهلي كانت في صورة راقية وكانت على قمة الأدب والشعر من حيث النضوج والكمال .

فالذي يدعو كاتب هذه السطور إلى التفكير هو أنه ما هو تاريخ الابتداء والتكوين للشعر العربي ؟ هل هناك نموذج للشعر الذي اتبعه شعراء عصر النضوج أو قرضوا الشعر بدون اتباع أحد ، فوجد في ديوان العرب بعض الإشارات التي تخبر أن برهة من الزمن لمرحلة التكوين ثم الميلاد قد مضت قبل مرحلة النضج ، كما أشار إلى ذلك كلام الشعراء بما فيه كلام امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وأشعارهم كما يلي :

عوجاً على الطلل المحيل لعلّنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وكقول زهير :

ما أرانا نقول إلاّ مُعاراً أو مُعاداً من قولنا مكروراً

وكقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفتَ الدار بعد توهّم

فالشعراء الذين تساءل عنترة عنهم ، واعتراف زهير بأن ما يقولونه إن هو إلا قول مكرور معاد استعاروه من سابقيهم ليدل دلالة قاطعة على أنهم جاءوا بعد مرحلة الميلاد – التي سبقتها مرحلة التكوين – بزمن ليس بالقصير ، وكان أثر سابقيهم بادياً على أشعارهم ، بل لا يفتأون يستعيرون منهم طرق الصياغة والمعاني ويكررون نماذج بعينها نعجز نحن اليوم عن المقارنة لعدم توافر شعر تلك المرحلة الأولى الذي لم تصلنا إلا ملامح وإشارات خفيفة عنه ، فالوقوف على الأطلال والبكاء على الديار وغيره مما نعتبره من الخصائص الأسلوبية للشعر الجاهلي كان شعراء تلك المرحلة – مرحلة ما بعد الميلاد – يتبعونه ويستهلّون به أشعارهم كبكاء شاعر كابن خذام الذي استشهد به امرؤ القيس .

كما يتبع الشعراء الهنود الأولون ، الشعراء الجاهليين في أشعارهم ويستهلون أشعارهم بالوقوف على الأطلال والبكاء على الديار كالقصيدة اللامية للقاضي عبد المقتدر الدهلوي .

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل سلم على دار سلمى ، وابك ثم سل

فمن الحديث في السطور الماضية قد اتضح لنا أن بداية الشعر العربي من العصر الجاهلي ليست هي بدايتها الحقيقية ، بل هي نموذج أشعارهم الراقية التي بلغت إلى أعلى قمة في الفن . وأمّا أقوال العلماء والنقاد العرب أن الشعر " بُدي بملك وخُتم بملك " أو قول البعض إنّ أوّلهم المهلهل لهلهة شعره وضعف نسجه أمر مستغرب لا يسنده دليل . بل هي إشارات عامة من أقوالهم اتسمت بما اتسم به النقد العربي القديم من تعميم الأحكام النقديّة دون دراسة ، وتحكم الذوق الشخصي في مثل أحكامهم ، كما يقولون : إن أول غزل أو أهجى شعر أو أغزل بيت هو بيت كذا ، وشعر فلان فهي سمة من سمات النقد العربي .

ولقد أجمع الباحثون والعلماء في العصر الحديث والقديم على أن الشعر العربي أقدم مما نظن ، فيقول ناصر الدين الأسد : " نحن نستطيع أن نعرف وجود هذه المراحل السابقة من أمرين : أولهما : أنّ هذه الصورة الشعرية التي وصلت إلينا صور فنية كاملة متسقة تامة التكوين سويّة البناء ثابتة الأسس ، حتى لقد أصبحت بعد نماذج فنية تحاكى وتحتذى ويتخذ منها عمود للشعر يحرص على التزامه شعراء العصور التالية في البيئات المتعددة

التي صارت أزهى حضارة وأرقى ثقافة وأغزر معرفة ، وليس يصحّ في الأفهام أن تثبت هذه الصور الكاملة السويّة من العدم أو تقوم من الفراغ أو تولد فجأة يافعة تامّة التكوين . وثانيهما : أنّ في كلا الشعرين إشارات واضحة حيناً ومبهمة أحياناً إلى شعراء سابقين لا نكاد نعرف عنهم شيئاً " .

ويقول نجيب البهيتي في تاريخ الشعر العربي : " إن النموّ الطبيعي للقصيدة العربية وأوزانها وموضوعاتها واللغة ونحوها وأساليبها ، وإيجازها يستدعي أن تكون مرت قبل زمن امرئ القيس بأطوار كثيرة وتعثرت تعثرات جمّة حتى اكتمل لها هذا الشكل الذي نجدها عليه في شعر امرئ القيس ومن سبقه أو جاء بعده " .

ويقول الأستاذ أحمد أمين مع إظهار أسفه على عدم وصول الشعر العربي القديم إلينا ، إن الذي وصل إلينا من أشعار العرب هي في صورتها الأخيرة بعد نضوجها واكتمالها : " ولا شك أنها مرت بأدوار طويلة قبل أن تستوي : من إقواء وبساطة معان وخطأ في التفاعيل ونحو ذلك ، ثم زال ذلك كلّه على مرّ الزمان ونقد النقاد . وهكذا رأى أستاذي الدكتور عبد المجيد عابدين وهو يؤكد : " أن هذه المرحلة التي وصلتنا ممثلة للشعر الجاهلي ما هي إلا مرحلة النضوج التي كانت مسبوقة بمرحلة النشأة ومرحلة النموّ والانتشار في الشعر العربي – في رأيه – مرّ الشعر في نشأته وتطوره " بمراحل بعيدة حتى بلغ ما بلغه في الشعر الجاهلي " .

لقد حاول الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف بابكر السيد إثبات أن الشعر العربي بدأ بشكل السجع الذي كان يستخدمه الكهنة العرب بصورة وزن المقفى ، ثم تطور بشكل تدريجي حتى أصبح فناً مستقلاً ، وقال : قد ذهب بعض كبار المتعرّبة من علماء الألمان مثل جولدزيهر وبروكلمان إلى هذا الرأي ويجعلون مبدأ الشعر العربي السجع . ويقول إبراهيم أنيس : " غير أنّنا الآن نستطيع ونحن مطمئنون كلّ الاطمئنان أن نؤكد حقيقة ثابتة أصبح الباحثون في الأدب العربي يجمعون عليها وهي أن الشعر الجاهلي في صورته المعروفة ليس لنا إلا نتيجة تطور أجيال سبقتها ومراحل مرت بها حتى صارت تلك الأوزان المتعدّدة الدقيقة النسج التي لا يعقل نسبتها إلى شعب فطري بدائي ، كما كان الناس يظنون فيما مضى، بل هي نتيجة ثقافة أدبية مرّت عليها قرون كثيرة ، ولقد كان الشعر العربي مظهراً من مظاهر الفصاحة بين خاصة من العرب في الجاهلية .

وقد ألقى الأستاذ عبدالصبور رأيه دعا إلى مناقشته " هو أن الشعر

العربي كان تطوراً صوتياً لشعرٍ الساميات القديمة ، وإن بداياته نستطيع أن نتلمسها في هذه الساميات تماماً مثلما كانت اللغة العربية تطوراً للساميات القديمة ، فالتطور اللغوي للغة ، والتطور الصوتي للشعر قد ساراً إذن جنباً إلى جنب ، وقد استفاد امرؤ القيس والمسيب بن علس وعمرو بن قميئة والمرقش الأكبر ومهلهل وغيرهم من خبرات شعراء كتبوا باللهجات الأراسية والصفوية واللحيانية والثمودية وغيرها ، وهؤلاء الشعراء المجهولون هم الذين ذللوا الطريق الموسيقي ، وعلى أيديهم عبر قرون طوال اكتشفت الأبحر الخمسة عشر أو الستة عشر ومجزوءاتها وحين أدرك الشعراء الجاهليون زمانهم كانت اللغة والموسيقى قد استوفتا تمامهما وبلغتا أوجهما " .

وقد وافق هذا الرأي الذي أجمع عليه الباحثون العرب – الدارسون من المستشرقين ، بل يجمعون على أن بداية الشعر العربي قديمة جداً بشكل وزن المقفى أو السجع ، فيعترف فيلبي أنّ الأمّة العربية أهملت أصول فنّها أو بداياته وأعمالاً ضخمةً قامت بها في فترة من فتراتٍ تاريخها القديمة نتيجة لأسباب لم ير فيلبي مبرّراً لها ، غير أن يكون انصرافاً في كبرياء حتى لتطلق على ماضي عظمتها الباكرة اسم " العصر الجاهلي " . ويقول جوستاف فون جرونباوم : " إنّ الأصول التي نشأ منها هذا الشعر الرائع في رقيّه ليست في متناول يدنا " كما يتعجّب دي فرجيه بقوله : " إنّ أصول هذا الأدب قد هربت منّا لسوء الحظ ، فهو حين يطلع علينا لأوّل وهلة " . وهو الرأي الذي ذهب إليه روم لاندو إذ يقول في " الإسلام والعرب " : " ولعلّ القصائد الجاهليّة التي حفظت حتى أيّامنا هذه نشأت في القرن الذي سبق الإسلام (٥٠٠ – ٦٢٢ ب . م) ولكنّ شكلها المحكم المصقول ينهض دليلاً كافياً على أنّ مرحلة طويلة من تطوّر الفن الشعري لابدّ أن تكون مرحلة طويلة من تطوّر الفن الشعري لابدّ أن تكون قد سبقت هذه النماذج التي لا نعرف ما هو أعتق منها " .

كلّ هذه النصوص وجميع تلك الآراء وكثير غيرها تكاد تجمع إجماعاً تامّاً ، سواء منهم من تساءل وأنكر أن تكون هذه النصوص المكتملة هي بداية الشعر ، أو من جزم بأنّ للشعر أوّليات غير هذه ، وبدأ يُعمل ذهنه مستنتجاً من الملامح التي وجدها في هذا الشعر أو من التاريخ الحتمي الواضح ، أو التاريخ المستنتج ، تُجمع جميعها على أنّ للشعر العربي أوّليّات بعيدة نشأ وتدرّج ، حتى وصل إلى هذه المرحلة التي هي بين أيدينا ، وقد أهملها العرب كما أهملوا تاريخهم القديم وتقييمهم للآداب والفنون القديمة ولما سبقت من حضارات . وما دام الشعر العربي له تاريخ

قديم وقديم جداً ، فإنّ لنا جولة مع نشأة الوزن وتطوّره أيضاً .

ثم خلص الدكتور عابدين مما أورده في هذه المجموعة من شواهد إلى ثلاث نتائج :

إن الأسجاع التي أجرى عليها العرب الفصحاء تجاربهم الأولية للوزن العروضي هي أسجاع الدعاء والتهليل التي اقترنت بالحركة الموقعة ، وارتبطت بمعبودات العرب ومقدساتهم في الجاهلية .

إن الوزن الذي ظهر في هذه الأسجاع هو وزن الرجز وحده ، وهذا يتفق مع الرأي القائل بأن الرجز أقدم الأوزان التي عرفها العرب الفصحاء .

إن التجارب الأولية من خلال هذه الأسجاع – دلت على أنها في سبيل التخلص من طريقة التركيب النثري والاتجاه إلى النظم كانت تتعثر أحياناً سواء في إتقان السجع وإحكامه ، أو في إقامة وزن التفعيلة ، أو في التسوية بين أجزاء الوزن في الطول . أما المجموعة الأخرى من الشواهد فهي بعض الأرجاز التي احتفظت ببقية من تلك التجارب الأولية ، وفيها تظهر آثار التعثر في القافية والوزن على نحو ما رأيناه في الأسجاع .

خلاصة القول :

وكل ما قيل في الشعر قبل تدوين علم العروض لم يكن خالياً عن العروض ، لأن العرب يقولون الشعر عن سليقة أو ملكة كانوا يمتلكونها طبيعياً ، وطبقاً لأوزان أو بحور يعرفونها ، ويدركون ما تحمله هذه البحور من زحافات وعلل مختلفة ، إدراكاً فطرياً ، ولم يكونوا في حاجة إلى علم يعلمهم فن النظم أو فن الشعر بشكل مستقل ، لأن الحياة البدوية لا تسمح لهم بأن يفعلوا ذلك ، لأن الشعر ليس عندهم إلا كعلم أو فن يتوارثونه عن آبائهم وأجدادهم ، فالشعر الجاهلي جميعه موزون ومقفى ، لأن مبدعيه من الشعراء كانوا على دراية فطرية بأوزانه على تباينها واختلاف أشكالها ، وظل الأمر كذلك ، ولكن حينما أخذ اللحن يشيع فيهم ، بسبب ضعف معرفة المستعربين بالشعر العربي وأوزانه . فمست الحاجة إلى جمع وتصنيف اللغة العربية ووضع مختلف القواعد التي تحفظها من الزلل والانحراف وسوء الاستعمال ، فانكب ثلة من العلماء الأفذاذ على وضع علوم النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والعروض لصيانتها من شوائب التشويه ، ولمساعدة الأعاجم على استعمالها على النحو الصحيح . فنشأ علم العروض ، مثل غيره من العلوم العربية ، في القرن الثاني الهجري ، على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي استخرج من الشعر الجاهلي ، عن طريق الاستقراء ، في دفعة واحدة .

الآداب الهندية في ضوء التاريخ

الدكتور محمد سليم أختر الندوي*

هـذه حقيقـة واضـحة أن الأدب نـبض الأمـة وترجمـان وجـدانها وضـميرها وحبهـا وفرحهـا وحزنهـا وغـضبها وأملـها وألمهـا وطموحاتهـا وتطلعاتها ، وحياته مرتبطة أشد الارتباط بحياة الأمة ، وقد احتفت الهند منـذ فجـر تاريخهـا بالكلمـة شـعراً ونثـراً ونقـداً وبلاغـةً ، ووقفـت وقفـة مراجعـة لكـل مـا أنجزتـه في كـل عـصر ومـصر في ميـادين الـسياسة والاقتصاد والاجتماع والفكر والعلم والصناعة والفلسفة والموسيقى وغير ذلك ، وكان الطبيعي أن يكون للأدب نصيب وافر من هذه المراجعة ، فهـو ديـوان الأمـة ومـرآة فكرتهـا وروحهـا وضـميرها ، وسـجل تاريخهـا ونشاطاتها وشجاعتها .

وإن البيئـة الأدبيـة في شـبه القـارة الهنديـة بيئـة غزيـرة وبيئـة رائعـة ، حيـث تتعـدد الحـضارات البـشرية والثقافـات الطبيعيـة ، وتتنـوع المنـاظر الطبيعية الجميلة ، وتتدفق الأنهار والبحور والأرخبيلات في أطراف البلاد المختلفة ، وتتسع الديانات والعقائد واللغات ، وتتباين طبيعة الهند المترامية والطبيعـة الجغرافيـة المتباينـة ، وتجـري التطـورات والحـوادث الاجتماعيـة والسياسية والعلمية . ولكـل مـن هـذا تـأثيرات عظيمـة ودور بـارز في تطـور البيئة الأدبية البديعة في شبه القارة الهندية ، ونيلها حظاً وافراً من الشيوع والذيوع على مستوى العالم كله . كما أن البيئة الأدبية لعبت دوراً ملموساً في تـصوير المنـاظر البهيـة والعـوارض المختلفـة والظـواهر الطبيعيـة والجبـال الشامخة والصحارى والمرتفعات والغابات الاستوائية والمستنقعات والسهول والأراضـي العـشبية والتطـورات الـسياسية والاقتـصادية والعلميـة والحـوادث الاجتماعية تصويراً جميلاً ، والتعبير عن أفكار الأمة وتخيلاتها وأبطالها

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية بتنة التابعة لجامعة بتنة ــ بتنة ، salimakhter٢٤١@gmail.com

وشجاعتها تعبيراً صادقاً ، والترنم بآلام أبناء الأمم ومسارهم وأمانيهم ، والترجمة عن عواطف الناس ومشاعرهم وعقائدهم ودياناتهم .

وتاريخ آداب الهند تاريخ مجهول لا توجد فيه كتب قيمة ، ولا نصوص أدبية قاطعة ، ولا وثائق قديمة . . . إلا الكتب الويدية التي تم وضعها قبل ظهور المسيح بألف سنة ، وكانت قبل تدوينها كدائرة معارف مشتركة ، ينقحها الناشرون ويكملونها في كل استنساخ مستعينين بمساعدين جدد ، وهذه الكتب الويدية هي الوثائق الوحيدة التى آلت إلينا من عصر يظل أمره مجهولاً بدونها [1] . . . ، إلا النصوص الدينية التي تواترت شفاهة ثم دوّنت كما وردت على ألسنة الرواة ، مجهولة التاريخ والكاتب . لكنها عمل الجماعات الآرية التي غزت الهند من شمالها الغربي حوالى ٢٠٠ م . ق . ، وبدأ تدوينها واستمر حتى القرنين السادس أو الخامس قبل الميلاد [2] . . . ، إلا الرموز والأمثال والقصص والأساطير التي تعد من أهم ما أنتجته أرض الهند الشاسعة ، وعرف كثير منها في أوربا بكتاب ألف ليلة وليلة الذي يحتوي على كثير من القصص الهندوسية . وأن " بريهات كاثا " (القصة الكبيرة المنسوبة إلى غوناذيا شبه الأسطوري) و " بنج تنترا " (كليلة ودمنة) أشهر مجموعات للقصص والحكم والأمثال والرموز التي ترجمت في أكثر لغات العالم الحية [3] . . . ، إلا الروايات الهندوسية التمثيلية التي تسلط الأضواء الكاشفة على الآداب الهندية إلى حد ما ، ومن أهمها " مركبة الصلصال " لشودراكا ملك مغدها في أوائل التاريخ الميلادي ، و " السحاب الرسول " و " أصل الإله الفتى " و " غرام بأوروش " لكالي داس الذي عاش في القرن السادس للميلاد ، و " فازافاداتا " لسوبانذو الذي عاش في القرن السابع للميلاد .

وظهرت اللغة السنسكريتية كلغة أدبية أولى في أرض الهند

---

[1] لوبون جوستاف (الدكتور) : حضارة الهند ، التعريب ، عادل زعيتر ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار العالم العربي ، ٢٠٠٩م ، ص ٤٤٥ – ٤٤٦ .

[2] رينو لويس : آداب الهند ، ترجمة : هنري زغيب ، بيروت – باريس : منشورات عويدات ، ١٩٨٩م ، ص ٦ .

[3] لوبون جوستاف (الدكتور) : حضارة الهند ، ص ٤٦٨ – ٤٧١ .

الخصبة بقيادة الآريين الذين جاءوا من الشمال الغربي لأوربا ، والذين كانوا متميزين بالجد وقوة الذاكرة والذكاء الحاد الخارق ، محبين بالأدب والفن والعلم أكثر من الآخرين [١] ، واصطبغت بصبغة دينية خالصة، وتواترت في البداية في نصوص دينية شفاهة ، ثم دونت كما وردت على ألسنة التاريخ مجهولاً ، ثم خطت خطوات واسعةً ، وقطعت مراحل التطور العديدة ، وفتحت للإنسان آفاقاً جديدةً حتى تميزت بغناها ، وحرية قواعدها ووفرة مفرداتها ، وخضوعها لنظام مراجع مقيد بتمثلات أسطورية وطقسوية ، وتروجت بأسلوب أدبي وأناقة جميلة بين الناس ، وامتدت على كل الهند ، حتى كشمير والشمال الغربي والبنغال والمقاطعات الدرافيدية، وأصبحت لغة المدارس والعقائد والدين للبرهمن ، وألفت فيها الكتب الدينية والاجتماعية والسياسية والفنية الرائعة والمسرحية والروائية العليا مثل المهابهارتا [٢] والرماينا [٣] وابنشيد [٤] وغيتا غيرها [٥] .

ولا يفوتني من الذكر أن الكتب السنسكريتية الأدبية قد ترجمت إلى اللغة العربية واللغات العالمية الأخرى في فن الطب والفلسفة والنجوم والرياضيات والموسيقى والفلسفة في عهد الخلافة العباسية ، كما نقلت القصص الرائعة والمسرحيات البديعة والروايات البهية من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية ، ومن أهمها السندباد وبنج تنترا وهتا أبديس وكليلة ودمنة والسند باد وبعض القصص لألف ليلة وليلة [٦] .

---

[١] السروري عبد القادر : أردو كي أدبي تاريخ (التاريخ الأدبي للغة الأردية) ، سرينغر: غلشن ببلشرز غاؤكدل ، ١٩٨١م ، ص ١١ .

[٢] قصائد المهابهارتا من أضخم آثار العالم الأدبية ، وتشتمل على ٢١٥٠٠٠ بيت من شعر ، وتتألف من خمسة عشر مجلداً عادياً يبلغ مجموع صفحاتها ٧٥٠٠٠ صفحة . (حضارة الهند ، ص ٤٥٣) .

[٣] تشتمل الرماينا على ٤٨٠٠٠ بيت من شعر ، ويعتقد النهدوس أن الإله وشنو قد ضعها . (حضارة الهند ، ص ٤٦١) .

[٤] وهي تحتوي على أكثر من ١٠٠٠ بيت من شعر .

[٥] السروري عبد القادر : أردو كي أدبي تاريخ (التاريخ الأدبي للغة الأردية) ، ص ١٢ و ٢١ . لويس رينو : آداب الهند ، ص ٧٠ — ٧٢ .

[٦] المصدر السابق ، ص ٤٢ و ٤٣ .

وفي شمال الهند حول القرن الخامس قبل الميلاد قد تغيرت اللغة السنسكريتية إلى اللغة البراكية التي ترجع في أصولها إلى مجموعة اللغات الهندية والأوربية ، وانتشرت كلغة الشعب في حين اقتصرت اللغة السنسكريتية على رجال الدين والعلماء ، وتأثرت بالثقافات المختلفة والحضارات المتنوعة داخل الهند ، وأنتجت مجموعة من اللهجات أطلق عليها اسم بهاشا [1] ، وأصبحت حيناً من الدهر لغة البوذية والجاينية ، ولبثت كذلك حتى تطورت إلى البالية [2] . . . فلما أن كان ختام القرن العاشر من تاريخنا المسيحي قد تولد عن هذه اللغة لهجات مختلفة كان أهمها اللغة الهندية التي ولدت بدورها القيم في القرن الثاني عشر اللغة الهندوستانية التي باتت لغة النصف الشمالي من الهند [3] ، وأخيراً جاء الغزاة المسلمون ، وملأوا الهندوستانية بألفاظ فارسية وعربية وتركية ، وكونوا بذلك لهجة جديدة تعرف اليوم باللهجة الأردية [4] . وإن هذه اللغة الأردوية هي لغة وحيدة تروجت في أنحاء الوطن في مدة قليلة ، ونالت نصيباً عظيماً من القبول أكثر من اللغات الأخرى ، وجعلت مكانةً مرموقةً ومنزلةً رفيعةً في قلوب الأصدقاء والأعداء على السواء . فيقول المؤرخ الكبير الدكتور جوستاف لوبون : " وفي الهند ، عدا اللهجات ، ست عشرة لغة آرية ، والهندوستانية هي أكثر هذه اللغات الآرية انتشاراً وأجدرها بالتعليم ، فهي لغة الهند الرسمية ، وهي لغة الأعمال فيها ، وبها تكتب الصحف وأهم الكتب ، ولا غنية لمن له علائق بالهند عن معرفتها . . . وأكثر اللغات الآرية شيوعاً بعد الهندوستانية ، هي الهندية التي يتكلم بها أهالي قسم من الهندوستان نفسها ، والبنجابية التي يتكلم بها أهالي بنجاب والبنغالية التي يتكلم بها أهالي بنغال ، إلخ " [5] .

---

[1] إبراهيم سمير عبد الحميد (الدكتور) : الأدب الأردي الإسلامي ، الرياض : إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ص ٦٢ – ٦٣ .

[2] الندوي محمد إسماعيل (الدكتور) : الهند القديمة حضاراتها وديانتها ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٠م ، ص ٢٥٦ .

[3] رينو لويس : آداب الهند ، ص من ١٠٦ إلى ١١٤ .

[4] رينو لويس : آداب الهند ، ص ١١٥ – ١١٧ .

[5] لوبون جوستاف (الدكتور) : حضارة الهند ، ص ٤٧٨ – ٤٧٩ .

وبالإضافة إلى ذلك ، ظهرت وتطورت الدرافيدية القديمة في جنوب الهند (الدكن) ، ولا قرابة بينها وبين اللغات الآرية ، بل هي من فصيلة لغوية مستقلة ، وتحتوي على أربع عشرة لغة ، وعلى عدة لهجات ، ومن أهمها : " اللغة التاميلية " و " التيلغوية " و " الكنرية " و " الميالمية " ، وأصبحت اللغة التاميلية من بينها أداةً أدبيةً رئيسيةً في الجنوب . كما نمت اللغات الهندية الآرية التي بلغ عددها ٢٧ ، ومن أهمها : الكولية في جهات متفرقة في الشرق والوسط ، والتبتية في أودية همالية ، والكهاسية في قسم من آسام ، والبنغالية في الشرق وغيرها من اللغات المختلفة التي تروجت في أنحاء الهند وخارجها ، وأحاطت بمعموراتها في بطونها ، وزينت أهاليها وأجيالها وشبابها بعلومها وفنونها وآدابها الجميلة ، وفتحت لهم أبواباً جديدةً في كل ميدان من الميادين المختلفة . فقد قال أحد الأدباء البنغاليين : " مع الإنجليزية دخل النثر إلى الهند ، وحل العقل مكان القافية " [١] . ويكتب الدكتور جوستاف لوبون بقلمه السيال " والناس يتكلمون على العموم باللغات الآرية في شمال الهند وقسم من وسطها ، ويتكلمون باللغات الدراويدية في الجنوب ، ويتكلمون باللغات الكولية في جهات متفرقة في الشرق والوسط ، ويتكلمون باللغات التبتية في أودية همالية ، ويتكلمون باللغات الكهاسية في قسم من آسام " . ويكتب في موضع آخر " إن في الهند ٢٤٠ لغة ، نحو ٣٠٠ لهجة ما عدا اللغة الفارسية التي هي لغة رسمية للقصور الأهلية والمجتمعات الراقية في الهندوستان ، والبهلولية التي هي لغة المجوس ، والصينية التي هي لغة المهاجرين في كلكتة ، واللغات الأوربية التي يتكلم بها في الهند سكان المستعمرات الإنكليزية والبرتغالية والفرنسية . . . إلخ [٢] . وقد جاء في مجلة ثقافة الهند عدد مارس ١٩٥٣م " إن إذاعة عموم الهند تذيع بست عشرة لغة وعشرين لهجة في إذاعتها المحلية " .

---

[١] رينو لويس : آداب الهند ، ص ١٠٤ .

[٢] النمر عبد المنعم : تاريخ الإسلام في الهند ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار العهد للطباعة ، ١٩٥٩م ، ص ٢١ ، نقلاً عن حضارة الهند ، ص ٤٧٧ – ٤٨٠ .

رحلة إلى الأردن : بين المقدسات والمعالم

(الحلقة الأولى)

الأخ السيد عبد العلي الحسني الندوي [1]

وداعاً أيتها الأرض المباركة المقدسة الميمونة ، أرض المحبة والفداء والود والوفاء والعشق والولاء ، أرض التراحم والتوادد والتعاضد والتكاتف والمواخاة بين إخوان الصفاء ، وداعاً أيتها المدينة المنورة (على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم) غير مهجورة ولا مملولة .

ودعنا أرض الحرم النبوي الشريف ليلة السبت ١٢ من شهر أبريل ٢٠٢٤م ، متعهدين بالعودة السريعة إليها خلال بضعة أيام .

يصاحبني في هذه الرحلة الأخوان العزيزان أحمد صديق الندوي ومحمد عفان الندوي ، وقد كانا في الحجاز منذ أيام عديدة .

ففي ليلة هادئة ساكنة توجهت بنا السيارة السباقة إلى مدينة تبوك ، بل طارت بنا إليها بتعبير أصح ، قضينا طول الليل في السيارة بين نوم ويقظة ، وأصبحنا بسلامة وعافية في قرية من القرى من أطراف المدينة ، ونحن على وشك الوصول إليها ، صلينا الفجر من أول وقتها في مسجد على الطريق ، واشترينا بعض الحوائج من بقالة تقع بجانبه ودخلنا مدينة تبوك حامدين لله سبحانه وتعالى عند انفلاق الصبح المديد وبزوغ الشمس الزاهرة . وقبل أن نغادر إلى وجهة رحلتنا ألقينا نظرة عابرة على مدينة تبوك التي تتميز في البقعة الشمالية من جزيرة العرب بغزوة مرموقة خرج لها الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٩ من الهجرة بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر ، وكانت تلك الغزوة آخر الغزوات التي خاضها الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – والتي حققت الأهداف العديدة المرتقبة منها والانتصارات البينة ذات الأهمية البالغة بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع جيوش الروم البيزنطية والعربية حيث أنجز المسلمون فيها الضغوط على الروم فسحبوهم من المواقع الشمالية في شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم تمت سيطرة المسلمين على المناطق الحدودية في شمال جزيرة العرب ، وتحقق استيلاؤهم عليها كلياً واتخذت هناك

[1] نجل الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي .

الخطوة المهمة الأولى لبعث جيوش الإسلام إلى بلاد الشام في سنوات لاحقة .

نزلنا في قلب مدينة تبوك عند محطة الباصات الوطنية واستعلمنا عن الموقف الدولي لسيارات الأجرة للأردن ، فأعلمنا رجل أنه يقع خلف المحطة على مسافة قصيرة فتمشينا إليه مباشرة ، ولم يكن البعد من محطة الباصات إلى موقف السيارات إلا خطوات يسيرة ، وكان الموقف حينذاك شاغراً تماماً للصباح الباكر ، فأجرينا جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ مراحل الرحلة عبر الحدود البرية من فحص جوازات السفر وتوثيق بعض التفاصيل الشخصية الضرورية على استعجال ، والآن نحن نتوجه إلى المملكة الأردنية الهاشمية ، ووجهتنا الأولى هي عاصمتها مدينة " عمان " .

الأردن قبل قرنٍ وأكثر مع شقيقاتها من سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة كانت مجتمعة موحدة مسماة " بلاد الشام " تحت مظلة العلم العثماني المرفرف المحيط على كثير من البقاع الإسلامية ، وكانت حينئذ من طولها وعرضها من البحر الأبيض المتوسط في غربها إلى جبال زاغروس في شرقها ومن جبال طوروس في شمالها إلى الصحراء العربية في جنوبها تعتبر كياناً مترابطاً واحداً ، جغرافياً وسياسياً ، دينياً وحضارياً . وكانت هذه البلاد الزاخرة العامرة بطبيعتها الخلابة المتدفقة ، المورثة للموارد الوفيرة والثروات الهائلة تحتل مكاناً مهماً قيماً للعالم العربي الإسلامي بوجه خاص ، وتتبوأ درجةً عاليةً رفيعةً وحبيبةً في القلوب المسلمة والنفوس المؤمنة بوجه عام بما تقع عليه هذه الأرض المرموقة قبلتنا الأولى ، وورد عديد من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضلها وشأنها وسمو مكانتها وعلو درجتها واحتوائها على الفتن والملاحم عبر العصور المختلفة والمقاومة المستدامة من عصابة مؤمنة مجاهدة في سبيل الله .

فكلما عانت هذه الأرض من أزماتٍ حرجة (ولا تزال في معاناة قاسية) ، وواجهت تحديات وصراعات ساخنة قام بصددها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وجماعات مؤمنة مجاهدة في سبيل الله إلى أن جاءت العقود الأخيرة ، وجعل المسلمون يُستضعفون صورةً وحقيقةً في مشارق الأرض ومغاربها وتدهورت حال العرب العرباء ودبت في شرايينهم الاستكانة والذل والخضوع لكل طاقة أجنبية والطمع والجشع للحصول على الملذات ، وتغلغل في أذهانهم حب امتلاك الثروات حتى ولو عن طريق التلاعب بقوانين اللّه ، وتجرؤوا لمجرد تحقيق الأغراض الشخصية والمنافع الذاتية على انتهاك

الحرمات واستخفاف المقدسات وآثروا المصالح الحكومية الخاصة على مصالح الدين والشعب ، فهم في الحقيقة ضربوا أنفسهم من الداخل أكثر ماضربوا من الخارج ، فكان الوضع منذئذ ما ازداد إلا سوءاً وخراباً .

ومما زاد الطين بلة وقوع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م التي استمرت في عدة جبهات لأربع سنوات متتالية ، وانتهت عام ١٩١٨م ، ومعها طوي بساط الخلافة العثمانية وتوزع تراثها في الدول المنتصرة في الحرب ، فاشتد الأمر على المسلمين وتفاقمت أوضاعهم الكارثية وازدادت عليهم الاعتداءات بشكل متزامن من أقصى العالم إلى أقصاه وتبددت وحدة الأمة الإسلامية وانهارت أسس بنيانها ونزلت صاعقة الاستعمار الإنكليزي والفرنسي المستبد الغاشم على جميع أنحاء بلاد الشام ، وكشر الاستعمار الفرنسي عن أنيابه ، فعض على أكثر مناطقها ، وابتلعت ما بقي منها سيطرة الاستعمار البريطاني من طرفها الجنوبي إلى المناطق المحتلة الفرنسية في شرقها ، وبعد سنوات قليلة احتل الاستعمار البريطاني بلاد الشام كافة – وتم كل ذلك من خلال اتفاقية " سايكس بيكو " وهي معاهدة سرية بين فرنسا وبريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى بمصادقة من الإمبراطورية الروسية وإيطاليا – واستمر هذا العدوان الغاشم والاستعمار المستبد الفتاك في هذه البلاد المباركة إلى أوائل الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي ، ونهبت البلاد وقتلت الرجال وامتصت الأموال والثروات وانتهكت المقدسات خلال هذه الفترة القاسية الممتحنة ، وبعد ما قامت القوات المستعمرة المحتلة بأنواع من الفساد والخراب والدمار لسنين طوال قاموا إلى تجزئة هذه البلاد التاريخية المزدهرة وتقسيمها ، فنجحوا في خططهم الماكرة – وهي تمزيق قوة المسلمين المتبقية وخرق شملهم وكسر شوكتهم تماماً – لتوهن حكام العرب المتخاذلين وانتفاء شعور الاعتزاز بالنفس والقوة الإيمانية عند المسلمين ، فتحولت الشام إلى أربع دويلات صغيرة منها " المملكة الأردنية الهاشمية التي تحيط بها " المملكة العربية السعودية " من الجنوب و " الجمهورية السورية " من الشمال و " الجمهورية العراقية " من الشرق والأراضي الفلسطينية المحتلة من الغرب .

فكنا متوجهين إلى المملكة الأردنية الهاشمية مستغرقين في تقلبات الزمان التي مر بها الإنسان ، فلم يستطع السير معها والتغلب عليها ،

فأمسى هامداً خامداً لا روح فيها ولا حياة ، وصار في ذيل القافلة ، وقد كان منها في مأخذ الزمام ، فكنا نرتحل عبر حوادث الأيام ونقلق على انحطاط أهل الإسلام إذ وصلنا على منفذ " حالة عمار " .

" منفذ حالة عمار " هو أحد من ثلاثة منافذ برية ، وهو يقع في وسط الحدود الشمالية من الجزيرة العربية بين المنفذ الشرقي قرب الجمهورية العراقية والغربي على ساحل خليج العقبة ، وهذا الحد السعودي تابع لمنطقة تبوك ، دخلنا في الجمارك ، وتمت مرحلة فحص الجوازات والتأشيرات الإلكترونية على الجانب السعودي بدون مشاكل كبيرة رغم شيئ من الالتباس والتشوش من ضباط الجمارك لأول وهلة ، وسمحوا لنا بالدخول في الجمارك الأردنية التي تسمى " حدود المدورة " ، وهنالك واجهنا إجراءات صعبة فبقينا منتظرين لمدة غير عادية ، وفي أثنائها استدعيت في مقصورة الضابط الرئيسي لبعض الاستفسارات ، فطرح علي أنواعاً من الأسئلة مما يتعلق بالدراسة والنشاطات العلمية والخلفية العائلية والانتماء إلى الحركات الدينية الفكرية ومقاصد الرحلة وغيرها واستغرق هذا الاستجواب والتحقيق الاستقصائي أكثر من ساعة ونصف ، الذي شعرت منه ببعض الملل والضجر والاستغراب في التعامل ، ولكن في النهاية سمح لنا بالمرور باحترام وتقدير . وعلى كل حمدنا الله وشكرناه لما يسَّر لنا الأمور من البداية حتى النهاية .

وخرجنا من الجمارك وأعربنا عن استغرابنا عند السائق الأردني في سلوك الضباط التمييزي معنا فقال : لعلكم أُستوجبتم بجد وشدة لتدينكم وارتدائكم الأزياء المحتشمة الدينية ، فالعجب كل العجب أن شعائر الدين أصبحت مواضع التهم في دولة إسلامية عريقة ، ومسنا بعض الحزن والقلق لما سمعنا من السائق هذا الاستيحاش من الدين وذويه في الهيئات الحكومية خاصة ، ودخلنا في المملكة الأردنية الهاشمية على شيئ من التوتر والانزعاج قرب الساعة الحادية عشر ظهراً ، وكانت محطتنا الأولى في رحلتنا هذه مدينة " عمان " عاصمة المملكة التي تبعد حوالى ٢٠٠ كلو ميتر عن الحدود ، وكنا نمر بالطريق الرئيسي الذي يربط جنوب المملكة بشمالها ، وكنا مرهقين من شدة التعب لاستمرار السفر منذ يوم ونصف من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ومنها إلى تبوك ، والآن توجهنا مباشرة إلى عمان دون توافر قسط من الاستراحة في

منتصف الطريق ، ولكنني رغم التعب والعناء لم أتمكن من إغماض عيني لدقيقة واحدة ولم يأخذني النعاس طول السفر بل أسرني التاريخ الحجري المذهل القديم للأنباط والرومان ، وكانت المآثر التاريخية والمعالم الأثرية والمباني الضخمة المنحوتة صخورها تنتشر وتتراكم في محافظة " معان " التي نمر بها الآن وكانت أبرزها " البطراء " و – هي مدينة أثرية ذات جذور قديمة ضاربة في أعماق التاريخ الحجري القديم – التي تقع في غرب المنطقة على مسافة ثلاثين كلوميتر ، ولكننا لم نتمكن من سياحتها لوقت ضيق كما قررنا سابقاً للوصول إلى عمان في أسرع وقت ممكن ، فاستمررنا في التقدم إليها دون تلبث فيما بين الطريق من خلال صحار قاحلة جدباء وتلال جافة عوجاء .

قرب الساعة الثانية عشرة ظهيرة عند زوال الشمس المشرقة تطلع علينا مدينة " عمان " المبتكرة وخالطني حبها من أول نظرة ألقيت عليها لمناخها البارد الرائع والنسمات الممتعة اللطيفة التي تداعب الروح وتهف القلوب وتجلي المشاعر وتغذي الأفكار ،فكانت المدينة تقع على تلال متموجة بين الصحراء ووادي الأردن الخصب وتترصع بمعالم تاريخية وأطلال رومانية وآثار إسلامية ، وتتميز بتناقضات مدهشة مزيجة بين القديم والحديث من المباني الشامخة الضخمة والفنادق الإبداعية الفخمة على جانب، والأحياء الصاخبة القديمة والمقاهي المزدحمة التقليدية على جانب آخر ،ونحن ننزل في وسط البلد بالقرب من المسرح الروماني التاريخي الشهير،وشعرت في لحظة أولى حينما كنا نطوف في الحي للعثور على الفندق بأسعار ميسور التكلفة بأن الإسلام عاد غريباً ، فقد عرضت الحضارة الغربية ومعاييرها المادية المصطنعة المسمومة لشباب الإسلام في عسل التنور والتقدم ،وهم يتساقطون عليها كما يتساقط الفراش على النار ، فكانت المقاهي مزدحمة مختلطة بين الفتيان والفتيات والملابس والأزياء بين تقليد الغرب ومواكبة صرعات الموضة الأوروبية والأمريكية ، والاعتناء بقيم الإسلام النقية الفطرية وأقداره النبيلة الطاهرة قد ندر وقل ،والتمسك بمزاياه المتميزة الممتازة قد أفل واختفى ،والمجتمع يسلك دروباً تفضي إلى مركب النقص وعدم الثقة بمثله العريقة العليا والشعور بالإشمئزاز إزاء الدين الحنيف وشريعته الخالدة ولا يمثل المجتمع حقيقة الإسلام ولا صورتها كذلك .

(للحديث بقية)

مُقَارنَة فِكريّة ومُقَاربة في العطاء

بين إمامَيْن مشهورين : الحارث المُحاسبي ومحمد الغزالي

بقلم : الدكتور صالح العَوْد
باحث وكاتب

كِلاهمَا في نظري – والله تعالى أعلى وأعلم – وبعد تتبّعي ، أنّهما شخصيتان ممتازتان من الطِّراز الرفيع ، ذاعَتا حتى اشتهرتْا في العالم كله : فالإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي من علماء القرن الثالث الهجري ، بينما الإمام أبو حامد الغزالي من علماء القرن السادس الهجري .

ومن هنا نعلم أنّ المحاسبي سابق على الغزالي بقرون ، وأنه فِعْلاً ممّن بَدَرَ فبَذَرَ شجرة التربية والسلوك ، حتى بَسَقَتْ أغْصانُها ، وتفرّعتْ منها : مكارم الأخلاق ؛ وتتلمذ عليه أخيار أبرار ، صاروا قُدْوة صالحة في المجتمع .

عُرف منهم : السّرّاج ، والجنيد ، وأبو نعيم ، وأبو طالب المكي ، والحكيم الترمذي ، وأبو سعيد الخراز ، ممن ظهروا فيما بعْد .

ولما جاء الغزالي بعد عصور ودهور طويلة ، وجد سبيل التربية معبّدة ، فسار على خطاه ، واهتَدَى بهُداه ، وتحقق بما أرساه ، بل زاد عليه ، وأصبح يُشار إليه بالبَنَان في كل الأوطان ؛ حتى نُسيَ الإمام المحاسبي ، بعد وفاتِه سنة (٢٤٣هـ – ٨٥٧م) وغدا كأنه أصل مدرسة التربية والسلوك ، وواضِع قواعد رياضة النفس ؛ وتهذيب الأخْلاق ، وهداية السلوك .

ويقول في هذا ، الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر في تقديم رسالته الدكتوراه بجامعة السوربون ، حول كتاب : " الرعايَة لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي " ص ٣٨ : " من الواضح أن تلميذه الأكبر – ويلتقي به – كان الإمام الغزالي ؛ وهو يعترف بأنه قرأ كتب الحارث المحاسبي ، وقد قال ذلك في كتابه : " المُنْقِذ من الضلال " ؛ ولقد قرأ أيضاً سيرة الحارث المُحاسِبي . . . ثم إنه نقل عنه في كتابه " الإحياء " كثيراً من الآراء والنصوص . . . ثم يقول عنه – دون تحفظ ولا استثناء – هذا التقدير الهائل : " المحاسِبيّ خيْر الأمّة في علم المعاملة ، وله السبْق على جميع الباحثين : عن عِيوب النفس ، وآفات الأعمال ، وأغوار العبادات ؛ وكلامه جدير بأن يُحْكى على وجهه " . اهـ

ويقول معاصرنا المحدّث الشيخ عبد الفتاح أبو غُدّة ، محقق وناشر كتاب " رسالة المسترشدين/للمحاسبي " في تقديمه لها والتعريف به : " نهض في

تدوين أحوال النفس وتزكيتها ، وبيان عيوبها في وقت مبكّر ، في ختام القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة " . اهـ

وإذا توقفنا عند مقاربة العطاء ، فإننا واجدون " تُرَاث " الإمامَيْن قريبَ الشّبَهِ بينهما مع تفاوت فيما خلّفاه : " كمّاً " ، و " كيْفاً " ، و " نعتاً " .

فالإمام المُحاسِبي خلّدتْهُ كتبُه ورسائلهُ التي قاربت مِائَتَيْ كتاب ، وأعلاها نَفَساً وحجْماً ، كتابُه : " الرعاية لحقوق الله " ، والذي اعتنى به غاية الاعتناء : نشْراً ، وتحقيقاً ، وتعْليقاً ، وتقديماً : الأستاذ الباحِث عبد القادر أحمد عَطَا والذي صدر عن مطبعة السعادة بالقاهرة في (ستّ مائة صفحة من القطْع الكبير) ؛ وأنا أملك منه نسخةَ الطبعة (الثالثة) سنة (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م) .

وجاء في خِتَام التحقيق بقلمه : " تمَّ تحقيق كتاب " الرعاية لحقوق الله " ، وهو كما يرى القارئ ، شأنُه شأن كل تراث الإمام المحاسبي ، قِمَّة من الفكر الإسلامي في عِلْم النّفْس الإسلامي الخالص ، وبهذا الكتاب ، أكون قد استوعبْتُ تراث المحاسبي تحقيقاً " .

أما الإمام الغزالي ، فله أيْضاً من الرسائل الرقيقة والدقيقة ما يشد الانتباه ، ويوقف الأوّاه ، إلى أسرار ما أمْلاه لسانُه ، وخطّه بنانُه ، أدناها : " المنقذ من الضلال " ، وأعلاها كتابه الموسوعَة ، المعروف بـ " إحياء علوم الدين " ، في أربعة أجزاء مطبوعَة .

وقد يخطر ببال قائِل : أليْس في هذه المُعادَلة ، مسألة ، مفادُها تحديداً : تلاقُح الأفكار عند الإمامَيْن : المحاسِبي والغزالي ؛ والجواب في ذلك ، قد يكون صحيحاً ، لكنّ المتعارَفَ عليه ، أو الجاري به العَمَل ، أن المتأخّر غالباً ما يكون عالة على السابق ، واللاّحِق يأخذ عنه سواء بواسطة أو بدون واسطة ، من عيون الأخبار ، وجزالة الأفكار ، التي يجدها دانية القُطوف ، جاهزة بيْن يديه .

وهو ما حصل بالفعل للإمام الغزالي ، وإليك الدليل :

- قال العلاّمَة محمد زاهد الكوْثَري – شيْخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقاً – : " تبطّن الغزالي كتاب " الرعاية " في كتابه " الإحياء " . اهـ
- وكتب الإمام المُناوي عن المحاسبي في كتابه : " الكواكب الدُّرِّيّة " ، ما نصُّه : أبَرَع في عدة فنون ، وتكلّم على الناس ، فأراهم الجوهر المكنون ، وأحيا القلوب بوعظه ، وشنَّف الأسماع بدُرَر لفظه ؛ تصانيفه مدوَّنة مسطورة ، وأقواله محبوبَة مشهورة " .

ومسك الختام ، نورد من أقواله لجميع الأنام ، هذا الكلام :

- خِيارُ هذه الأمّة ، الذين لاَ تَشغلهم آخرتُهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم .
- الظالم نادمٌ وإن مدحه الناس ، والمظلوم سالم وإن ذمَّه الناس .
- حُسْن الخُلُق : إحتمال الأذى ، وقلة الغضب ، وبسْط الوجه ، وطِيبُ الكلام .

رحم الله الإمامَيْن في الداريْن ، وأثابهما عما قدَّما للأمّة .

الشيخ أبو بكر الصديقي الفرفروي : حياته وأعماله الدينية

الأخ محمد أبو الكلام لشكر *

كان الشيخ أبو بكر الصديقي الفرفروي (رحمه الله) من علماء الإسلام البارزين في عصره في شبه القارة الهندية ، ومن خلال خبرته الفكرية ومعرفته الواسعة في مجموعة متنوعة من المواضع في تطوير دراسات القرآن والحديث في ولاية بنغال الغربية وآسام وتريبورا وبنغلاديش . وإنه يُعتبر في ضوء خدماته من رواد التربية الإسلامية ، وأسس عدداً من المساجد والمدارس والمؤسسات الدينية ، ولهذه المؤسسات مساهمة مهمة في نشر التعليم . والهدف الرئيسي من هذا البحث ذكر أعماله وجهوده .

ولادته ودراسته :

وُلد الشيخ المربي أبو بكر الصديقى في قرية " فرفره " تحت مركز الشرطة " جانغى بارا " بمديرية " هوغلي " عام ١٨٤٦م [١] بأنها مركز المسلمين . لها علاقة عميقة بتاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية ، وهذه القرية نالت في التاريخ الإسلامي مكانة منذ القرن الثامن الهجري كان فيها عدد من الأولياء أغلبهم من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأحباء ، وكان الشيخ الصديقي يسكن في هذه القرية .

كان الشيخ الكبير أبو بكر الصديقي حصل على التعليم الابتدائي في مدرسة قريته ، ثم التحق بمدرسة في سيتافور للأوقاف الكبرى في منطقة " هوغلي " أسسها نواب البنغال علي يبردي خان عام ١٧٥١م ، ثم التحق بالمدرسة المحسنة الكبرى التي أسسها الحاج محمد محسن عام ١٨٠٤م ،

---

* الباحث في قسم أصول الدين في الجامعة العالية ، مدينة كولكاتا .

[١] أبو فاطمه محمد إسحاق ، أبو بكر الصديقي رحمه الله ، بنغلاديش ، داكا ، المؤسسة الإسلامية ، ١٩٨٠م ، ص ٩ ، إيم ، إي رحيم (تاريخ مسلمي البنغال) بنغلاديش ، داكا ، منشورات أحمد ، ١٩٩٤م ، ص ٧٤ .

قد فاز حينئذ في الجماعة الأولى بتقدير امتياز [1] . ثم درس علم التفسير والحديث من الشيخ جمال الدين الذي هو أحد تلاميذ مجدد الزمان السيد أحمد بن عرفان البريلوي . ثم تعلم المنطق والحكمة من إمام مسجد ناخدا بكولكاتا اسمه الأستاذ ولايت حسين ، ثم سافر الشيخ أبو بكر الصديقي إلى المدينة المنورة وحصل على أسانيد للحديث من الصحاح الستة وغيرها من أربعين كتاباً من محافظ الروضة الشريفة المحدث شيخ الدلائل السيد أمين رضوان عام ١٩٠٣م الذي كان خادم روضة النبي صلى الله عليه وسلم [2] .

أخذ الشيخ أبو بكر الصديقي الطريقة والسلوك عن الشيخ الكبير العالم الجليل مولانا فاتح علي الأويسي رحمه الله [3] .

وكان الشيخ فاتح علي الأويسي خليفة للشيخ المربي نور محمد النظامبوري ، وكان الشيخ نور محمد خليفة للإمام السيد أحمد بن عرفان البريلوي ، وكان الشيخ السيد أحمد خليفة للإمام الشيخ الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي ، وهو كان خليفة لوالده المحترم الشيخ الإمام الشاه ولي الله الدهلوي ، وكان الشيخ الإمام ولي الله خليفة لوالده الشيخ الشاه عبد الرحيم الدهلوي ، هكذا قد انتهت هذه السلسلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم [4] .

قال العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الندوي رحمه الله : " كان الشيخ أبو بكر رحمه الله تعالى أكبر خليفة للمرشد الكبير مولانا فاتح علي الأويسي رحمه الله . وكان له أثر كبير في نشر دعوة الإصلاح والسلوك والتزكية على المنهج الصحيح في ديار بنغال . وكان له خلفاء كثيرون وآلاف من الأتباع والمريدين في نواحٍ مختلفة من البلاد بل أكثر مسلمي بنغال متصلون بسلسلته " [5] .

---

[1] هماؤن عبد الحي ، مصلح مسلم وقديس ، بنغلاديش ، داكا ، المؤسسة الإسلامية ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٣ .

[2] حضرت للفرفره ، علامه سيف الدين الصديقي ، ص ٢١ ، أبو فاطمه محمد إسحاق ، أبو بكر الصديقي ، ص ٩ .

[3] أنوار حسين ، مولانا أبو بكر الصديقي ، كولكاتا ، كملا بريس ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٠

[4] منير الإسلام ، الشيخ أبو بكر الصديقي الفرفروي ، بنغلاديش ، داكا ، مكتبة الأسلاف ، ٢٠٢٣م ، ص ١٦ – ١٧ .

[5] سيد أبو الحسن علي ندوي ، كاروان إيمان وعظيمت ، باكستان ، لاهور ، ١٩٨٠م ، ص ١٢٥ .

وفاته :

قد توفي الشيخ أبو بكر الصديقي رحمه الله يوم الجمعة ١٧ مارج ١٩٣٩م [١] . إنا لله وإنا إليه راجعون . وكان عمره ٩٣ عاماً ، قد نشر خبر وفاته في جريدة الهند الإنكليزية الممتازة المعروفة بـ " دينك ستيتمين " .

The dated occured yesterday morning at Furfura (Hooghly). At the age of ٩3 if his holiness, Hazarat Moulana Shah Haji Mohammad Abu Bakar Siddique a great Muslim Divine and the spiritual guide of large number of Muslims in this country.

The Moulana`s name was a house hold word in Bengal. He was the founder of many Schools, Madrasah, Mosques, Dispensaries and other Charitable Institutions, By his pity and benevolence he endered himself of large numbers of people of this Provine irrespective of class or community. (Saturday, March ١٨, ١٩٣٩) [٢].

أعماله في التعليم والتربية :

كان الشيخ أبو بكر يعقد مجالس الوعظ والبيانات لنشر التعليم والإسلام في أنحاء البلاد كلها ، وكان يناقش في محاضراته علماء الإسلام وأتباعه الربانيين ، وكان صوته المهيب يجذب الناس ، حتى القلب الحجرى يذوب في مناقشتهم . وكان يبين بكل بلاغة كيف يرضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وكان دوراً مهماً في إيقاظ الوعي الروحي النقي في جميع أنحاء شرق الهند بالوعظ لأكثر من نصف قرن في المدن والقرى الكبرى في بنغال وآسام . كان يحضر في مجالسه نحو من عشرين ألفاً إلى ألف ألف من الأشخاص [٣] . وكثير من الناس يتأثرون بخطابته الجريئة واعتبروا أنفسهم مباركين . وأنشأ الشيخ عديداً من المدارس الدينية والمدارس العصرية في شبه القارة الهندية .

---

[١] الدكتور محمد عبد السلام ، ثلاثة من رواد فرفره ، بنغلاديش ، داكا ، المؤسسة الإسلامية ، ٢٠١٨م ، ص ٢٨ .

[٢] The Daily Statesman, ١٨th March, ١٩٣٩

[٣] تاريخ فرفره وسوانح شيخ المشائخ الفرفروي المفصله للعلامة روح الأمين ، بنغلاديش ، داكا ، مكاتب السنة والجماعة ، ٢٠١٥م ، ص ٤٨ .

كما أنشأ مولانا أبو بكر الصديقي في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين العديد من المنظمات الاجتماعية والأدبية والدينية على المستوين الوطني والإقليمي لتوحيد صفوف المسلمين من كل طائفة منهم . كانت مهمته الرئيسية نشر هذه المنظمات بين الناس وإبطال الشرك والبدعة ورجال السوء من المجتمع والقضاء على الأنشطة المعارضة في المجتمع والقضاء على الحركات والابتكارات في المجتمع يصرف النظر عن هذا . هناك مهمة أخرى ، مهمة تتمثل في توقير التعليم لعامة الناس في شبه القارة الهندية ونشر الإسلام ومشيع دين النصارى ومواجهة إشاعة أهل الأديان الأخرى الأعداء وتصنيف الكتاب والصحائف [1] ، قد حث المسلمين على الأفعال الجيدة من هذه المنظمات باجتماع العلماء في الحياة كلها [2] . من خلال هذه المنظمات المميزة وبصرف النظر عن هذا . تصدر هذه المنظمات العديدة من المجلات التي تنفع عامة الناس بشكل كبير ، ومن هذه المؤسسات اسمان مشهوران : (١) العلماء الأجانب (١٩١٣) ، (٢) جميعة العلماء البنغالية (١٩١٩) .

وقد أنشأ الشيخ المذكور ٨٠٠ مدرسة و ١١٠٠ مسجد في جميع مناطق في شبه القارة الهندية لنشر التعليم والإسلامي خاصة وتخريج العلماء [3] . واسم المدرستين المشهورتين اللتين أسسهما : (١) فرفره فاتحية سينير مدرسة (١٩٠٢) . (٢) فرفره هائ مدرسة (١٩٢٦) .

الخلاصة :

كان الشيخ الكبير أبوبكر الصديقي الفرفروي من الشخصيات العلمية البارزة التي ظهرت في مجال العلوم الإسلامية والبحوث العلمية ، كان رجلاً عالماً ، ماهراً مشهوراً ، مفكراً للإسلام والمسلمين ، وكان نجماً ثاقباً للهند وبنغلاديش ، إنه كان داعياً ربانياً وخطيباً بارعاً وكاتباً قديراً ، فإنه قام بخدمات جليلة في مجال العلم والفضل والدراسة والتعليم ، وله يد طولى في نبوغ العلم وقام بتأسيس المساجد والمدارس والمكاتب ونشر التعليم والتربية في بقاع منطقة " هوغلي " بولاية بنغال الغربية (الهند) .

---

[1] بنغلابيديا .

[2] مولانا أبو بكر الصديقي للأنوار حسين ، ص ٤١ – ٤٢ .

[3] ذولفكر أحمد قسمتي ، بعض علماء وبير مشائخ ، بنغلاديش ، داكا ، المؤسسة الإسلامية ، ٢٠٠٥م ، ص ٦٩ – ٧٠ .

مكانة الإمام أبي حنيفة في علم الحديث

الأخ محمد روح الأمين *

تُعرف مكانة الإمام أبي حنيفة رحمه الله ومنزلته وشأنه في علم الحديث بمعرفة أحوال شيوخه ممن أخذ علم الحديث ؟ وكم شيخاً سمع منه ؟

أقول : لا ينبغي لأحد أن يقول عن أبي حنيفة رحمه الله أنه حصل من شيوخه علم الفقه ، لأنه ما كان قبله فناً مستقلاً . فإنه أوّل من دوّن علم الفقه الإسلامي ، بعد استنباط الأحكام من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية ، فالمراد هنا بشيوخه شيوخ الحديث . فإن العُرف لا يستعمل لفظ الشيخ لمعلّم الفقه .

إنه أول من وضع الأصول والضوابط ، وبوّب الشريعة الإسلامية المحمدية حتى الإمام مالك مؤسس المذهب المالكي قد اختار ترتيب أبي حنيفة الفقهي في كتابه " الموطأ " ، ومن أتى بعده قد اتبع الإمام أبا حنيفة في وضع الأبواب ، وترتيبه الفقهي في كتبهم الحديثية والفقهية .

قد وضّح الإمام الخوارزمي (المتوفى ٦٦٥هـ) هذه الحقيقة في جامع المسانيد ، فكتب : " أنه أول من دوّن علم الشريعة ورتّبه أبواباً ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب الموطأ ، لم يسبق أبا حنيفة أحد ، لأن الصحابة والتابعين بإحسان لم يضعوا في علم الشريعة أبواباً مبوّبة ولا كتباً مرتبة ، وإنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم [١] .

وحدّث الإمام ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي (المتوفى ٩٧٣هـ) : " إنه أوّل من دوّن علم الفقه ورتّبه أبواباً وكتباً على نحو ما هو عليه اليوم ، وتبعه مالك في الموطأ ، ومن قبله إنما كانوا يعتمدون على حفظهم . وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط [٢] .

يظهر به أن العلوم الأصلية في الشريعة الإسلامية من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مائة عام من الهجرة النبوية كلها يدرس بشكل

---

* الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت الإسلامي في الجامعة العالية ، كولكاتا ، الهند .

[١] الخوارزمي ، جامع المسانيد ، الناشر دار الكتب العلمية ، المجلد ١ ، ص ٣٤ .

[٢] الهيتمي ، الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ١٣٢٤هـ ، طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، ص ٤٣ .

الحديث . فلهذا الوجه يؤخذ وتحصل المسائل الفقهية ، وعلوم الأحكام ، وعلوم الشريعة والقانون وغيرها بشكل الحديث . وكان كذلك الحال لعلم التفسير ، يعني يؤخذ أيضاً بشكل الحديث ما لم يبدأ عصر المفسرين ، وهكذا يعلم علم الزهد ، والعبادة ، والرياضة ، والتزكية وغيرها بالأحاديث النبويّة . لهذا ما يذكر عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان مثلاً : سمع أبو حنيفة من فلان ، وروى عن فلان ، أو أخذ من فلان ، أو تفقه من فلان ، فالمراد بكل منها علم الحديث سواءً كان خبراً أو أثراً . لا يفهم منه كان هو علم الفقه . فإن علم الفقه لا يوجد في ذلك الوقت فناً مستقلاً ، فإن بدايته ونشأته صدرت عنه أولاً . مع أنه من يفهم أنه يتعلق بعلم الفقه .

يُقال عن الإمام أبي حنيفة أن له سبعة عشر حديثاً ، وكان من قليلي الرواية . فإذا استعرضت خدماته حول الشريعة المحمدية ، يتجلّى كالشمس أنه كذبٌ جليٌ لم يوجد في علم التاريخ من قبل .

كتب الإمام الزرقاني في شرح الموطأ للإمام مالك أن عدد شيوخ الإمام مالك رحمه الله نيف وتسع مائة [1] .

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء " أن الإمام أحمد بن حنبل قد روى عن ثمانين ومائتين من شيوخه في المسند " [2] .

وقال الإمام البخاري : رويت عن ثمانين وألف من شيوخي [3] .

وعدّ الإمام الذهبي شيوخَ الإمام مسلم الذين روى عنهم في صحيحه فبلغ عشرين ومائتين [4] . وعدّ شيوخ الإمام الترمذي واحداً وعشرين ومائتين .

وذكر ابن حجر العسقلاني أن الإمام أبا داود صاحب السنن عدد شيوخه ثلاث مائة [5] .

وكتب الذهبي أسماء سبعين من شيوخ النسائي ، ووُجِد في سننه النسائي وغيره من كتبه ثمانون وثلاث مائة ، فالمجموع خمسون وأربع مائة [6] .

---

[1] الزرقاني ، شرح الموطأ ، المجلد ١ ، ص ٢ .

[2] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، (الطبعة الحادية عشرة – ١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، المجلد ١١ ، ص ١٨١ .

[3] العسقلاني ، مقدمة فتح الباري ، ص ٦٤٢ .

[4] شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، (الطبعة الحادية عشرة – ١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، المجلد ١٢ ، ص ٥٦١ .

[5] ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، الطبعة الأولى (١٤٣٥هـ) دمشق ، سوريا ، المجلد ٤ ، ص ١٥١ .

[6] شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، (الطبعة الحادية عشرة – ١٩٩٦م) ،

وقال : روى ابن ماجة عن كثير من شيوخه سوى المذكورين ، ولم يتعين أحد من الأئمة عدد شيوخه [1] .

كثرة عدد شيوخ الأئمة شأن ذوقهم في علم الحديث ، ودليل على سعة علمهم . عدد شيوخ الأئمة من كبار المحدثين من مائتين إلى ثمانين وألف . قد تفرّد الإمام أبو حنيفة بهذا الاعتبار أيضاً على غيره . فإن عدد شيوخه أكثر منهم ، فإنهم أربعة آلاف على ما صرّحه أئمة المحدثين وأسماء الرجال كما يلي :

إن عدد شيوخ الإمام أبي حنيفة النعمان أربعة آلاف ، بيّنه الإمام موفق بن أحمد المكي في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ، والخوارزمي في جامع المسانيد ، والكردي في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وغيرهم من المؤرخين منهم : ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي ، والإمام أحمد بن يوسف الصالحي الشامي الشافعي ، والإمام أبو حفص الكبير وغيرهم .

ذكر الإمام أبو عبد الله بن أبي حفص الكبير مناقشة بين تلاميذ أبي حنيفة والشافعي فكتب : " فجعل أصحاب الشافعي يفضلون الشافعي على أبي حنيفة ، فقال أبو عبد الله بن أبي حفص : عدوا مشايخ الشافعي كم هم ؟ فيعدون فبلغوا ثمانين . ثم عدوا مشايخ أبي حنيفة من العلماء والتابعين فبلغوا أربعة آلاف . فقال أبو عبد الله : هذا من أدنى فضائل أبي حنيفة [2] .

وقال سيف الأئمة السابلي : " إن أبا حنيفة تلمذ عند آلاف من شيوخ أئمة التابعين [3] .

وذكر الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى ٩٤٢هـ) بمرجع أبي حفص الكبير أن عدد شيوخ الإمام أبي حنيفة النعمان أربعة آلاف [4]

وتفاوض الهيثمي المكي الشافعي (المتوفى ٩٧٢هـ) على شيوخ

مؤسسة الرسالة ، بيروت ، المجلد ١٤ ، ص ١٢٥ – ١٢٧ .

[1] شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، (الطبعة الحادية عشرة – ١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، المجلد ١٣ ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

[2] الموفق ، مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، الطبعة الأولى ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدرآباد الدكن ، ج ١ ، ص ٣٨.

[3] أبو المؤيد محمد بن محمد الخوارزمي ، جامع المسانيد ، الناشر دار الكتب العلمية،ج ١ ، ص ٣٢ .

[4] عبد القادر الأفغاني ، عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان (تحقيق ودراسة)، جامعة أمّ القرى ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨ – ١٣٩٩هـ ، ص ٦٣ .

الإمام أبي حنيفة فكتب : " هم كثيرون لا يسع هذا المختصر ذكرهم ، وقد ذكر منهم الإمام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ ، وقال غيره : له أربعة آلاف من التابعين ، فما بالك بغيرهم [1] .

فثبت بأقوال الأئمة المذكورين أن عدد شيوخ الإمام أبي حنيفة النعمان أربعة آلاف حتى إنهم كانوا من التابعين . فإن فرض أنه روى عن كل واحد من شيوخه حديثاً فيبلغ عدد المرويات عنه إلى أربعة آلاف ، مع أنه إن ضُمّت معها مروياته عن شيوخه الذين من غير التابعين ، فما بالك أي لم يمكن أن يسعها . وكان كثير من شيوخه من التابعين ذوي رواية لا يحصون .

فكيف نُسلّم أن الإمام أبا حنيفة قد صحِب كثيراً من شيوخه سنوات ، ولم يأخذ منهم إلا حديثاً . بل الحق أنه روى عنهم حتى الإمكان أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . فإنه كان ممتازاً من غيره في الفطانة والحرص لطلب الحديث رواية ودراية .

قول الإمام أبي حنيفة في رواية الحديث عن شيوخه من التابعين : أبو جعفر المنصور الخليفة الثاني في العصر العباسي مرة سأل أبا حنيفة : ممن أخذت العلم ؟ فأجاب الإمام بقوله : " عن أصحاب عمر عن عمر رضي الله تعالى عنه ، وعن أصحاب علي عن علي رضي الله تعالى عنه ، وعن أصحاب عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وما كان في وقت ابن عباس رضي الله تعالى عنه على وجه الأرض أعلم منه . قال : لقد استوثقت لنفسك [2] .

فقال أبو جعفر : بخ بخ ، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة ! الطيبين الطاهرين المباركين صلوات الله عليهم [3] .

وقد اعترف أبو جعفر المنصور بأن الإمام أبا حنيفة النعمان روى عن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس بأجلة تلاميذهم بأسانيد عالية . وذكر الإمام أبو حنيفة أسماء بعض شيوخه من كبار التابعين ، قال الإمام عبد الله بن

---

[1] ابن حجر هيتمي المكي ، الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، بومبي ، الهند سنة ١٣٢٤هـ ، ص ٣٦ .

[2] الخوارزمي ، جامع المسانيد ، الناشر دار الكتب العلمية ، المجلد ١ ، ص ٣١ . والخطيب ، تاريخ بغداد ، المجلد ١٣ ، ص ٣٣٤ .

[3] الصيمري ، أخبار أبي حنيفة وأصحابه ، الطبعة الثانية ، ص ٥٨ – ٥٩ . والخطيب ، تاريخ بغداد ، المجلد ١٣ ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

داود : سألت أبا حنيفة من أدركت من الكبراء ؟ فقال : القاسم وسالماً وطاؤساً ومكحولاً وعبد الله بن دينار والحسن البصري وعمرو بن دينار وأبا الزبير وعطاء وقتادة وإبراهيم والشعبي وأمثالهم [1] .

وفي رواية قال في جواب أبي جعفر المنصور : " عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم .

أسماء شيوخ أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي : إن شيوخ البخاري إذا أحصي عددهم فإنهم كانوا ثمانين وألفاً ، والإمام أبو حنيفة لم يكتب أئمة المحدثين والمؤرخين عدد شيوخه فقط . بل ذكر أسماء الذين روى أبو حنيفة عنهم .

كالخطيب (المتوفى ٤٦٣هـ) في تاريخ بغداد [2] . والعسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ) في تهذيب التهذيب [3] . والذهبي (المتوفى ٦٤٨هـ) في سير أعلام النبلاء أربعين اسماً [4] . والسيوطي الشافعي (المتوفى ٩١١هـ) في تبييض الصحيفة بمناقب أبي حنيفة أربعة وسبعين اسماً لشيوخ أبي حنيفة النعمان [5] . والمزي (المتوفى ٧٤٢هـ) في تهذيب الكمال [6] . وفي رواية قال في جواب أبي جعفر المنصور : " عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم . قال : ما ذكره الأئمة من أسماء شيوخ أبي حنيفة النعمان في كتبهم تحت فهارس شيوخ الإمام فهو على تحقيقاتهم . كتب الأكثر منهم من خمسة عشر إلى سبعين . وحقق بعض من غيرهم ، كصاحب السيرة الشمسية والإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي وغيرهما ، فقال : إن عدد شيوخ الإمام أبي حنيفة النعمان عدد لا يحصى . وإن ما ذكرته يتضح به مقام أبي حنيفة رحمه الله ومكانته في علم الحديث رواية كانت أو دراية .

---

[1] الحصكفي ، مسند الإمام الأعظم ، ص ١٨٩ .

[2] الخطيب ، تاريخ بغداد ، المجلد ١٣ ، ص ٣٢٥ .

[3] العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، الطبعة الأولى (١٤٣٥هـ) ، المجلد ١٠ ، ص ٤٠١ .

[4] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، (الطبعة الحادية عشرة – ١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، المجلد ٦ ، ص ٥٣٠ .

[5] السيوطي ، تبييض الصحيفة بمناقب أبي حنيفة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٩ – ٦٥ .

[6] الموزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، الطبعة الأولى ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ، المجلد التاسع والعشرون ، ص ٤١٨ – ٤٢٠ .

الشيخ سعيد الكرياسني : رجل في أمة

الأخ محمد جاويد الكرياسني *

فقد تلقينا يوم الاثنين ٨/ محرم الحرام ١٤٤٦هـ بعد العصر بعيون دامعة ، وقلوب دامية ، ومؤمنة بقضاء الله تعالى خبر وفاة الشيخ سعيد الكرياسني ، أنزل الله على قبره شآبيب رحمته ، وأحاطه بسحايب مغفرته .

إنه لا يخفى على أحد أن الموت طريق مسلوك ، ومنهل مورود . قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ) [آل عمران : ١٨٥] .

وكان رحمه الله شريفاً متواضعاً ، ومقبولاً بين أهل كرياسنه .

ذهب الشيخ قبل خمسة عشر يوماً إلى ملكافور لكسب المال ، فاقتضت الظروف أن يتولى مسؤوليات منزله ، بعد الذهاب إلى ملكافور ، انهمك الشيخ سعيد في عمله . وكان لا يعلم رجل من أهل كرياسنه . أنه لا يرجع إلى كرياسنه بعد هذا اليوم . وصارت هذه الرحلة رحلته الأخيرة .

ولما كان يوم الاثنين وكان الشيخ مشغولاً بعمله ، فجأة توقفت دقات قلب الشيخ . واشتد المرض ، وجاء الوقت الموعود الذي لا تستطيع قوة في العالم أن تمنعه ، ولقي ربه وقت الظهر في التاريخ ١٥ يوليو ٢٠٢٤م بعد ما أكمل ٥٠ سنة من عمره . إنا لله وإنا إليه راجعون .

انتشر هذا النبأ في قرية كرياسنه انتشار النار في الهشيم . ونُقل الشيخ من ملكافور إلى قرية كرياسنه .

وفي اليوم الآتي صباحاً (يوم الثلاثاء ١٦ يوليو ٢٠٢٤م) أقيمت صلاة الجنازة بإمامة الشيخ عبد الحميد الكرياسني (أستاذ الحديث الشريف في الجامعة النذيرية ، بكاكوسي) .

نسأل الله العلي القدير أن يغفر له ويرحمه رحمةً واسعةً ويعفو عنه ، ويدخله جنة الفردوس ، ويحشره مع النبيين والصديقين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يلهم أهله وذريته ومحبيه وزملاءه الصبر والسلوان ، إنه نعم المولى ونعم المجيب .

* غجرات ، الهند .

فأما الزبد فيذهب جفاء

محمد فرمان الندوي

رأت الدنيا في مدة قريبة كثيراً من الحوادث والوقائع ، وأنواعاً من الكوارث والنكبات ، بل كل يوم تطلع فيه الشمس نرى عجباً في دنيا العلوم والتكنالوجيا ، ونشاهد استغراباً في عالم الفكر والعمل ، وكل حادث يحدث في أي قارة من القارات السبع يُسمع له صدى ، وترتج له بيئة في قارة أخرى ، إما ظاهراً ، وإما باطناً ، وهذه ظاهرة ملموسة أن بريق الحوادث ولمعانها أحياناً يبهر العيون ، ويخرس الألسن ، لكن سرعان ما ينكشف الغبار ، فيتضح أكان هناك فرس أو حمار .

الناس أتباع من غلب :

إن سياسة العالم المعاصرة التي يخوضها الخبراء المحنكون ، والقادة الدبلوماسيون تحمل تناقضات كثيرة ، إنهم يبررون كل شيئ لمصالحهم ومنافعهم متى شاءوا ، لكنهم يفرضون الحظر على من يعاندهم أو يعارضهم ، كأن سياستهم أصحبت مصداقاً لهذا المثل السائر : " الناس أتباع من غلب " ، لكن التاريخ الإنساني يشهد أن أمثال هذه السياسات لا تستمر إلى أمد بعيد ، إنها تكون سراباً خادعاً أو حباباً زائلاً بين عشية وضحاها ، ثم تنكمش هذه السياسة ، وتنهزم ، وتُطوى في صفحات التاريخ ، فلا تبكي عليها عين ، ولا يرثي لها شاعر ، إن تحليلاً دقيقاً لهذه السياسات المستبدة يدل على أنها لا تحمل قيماً دينية ، ولا مثلاً إنسانية ، وهي تشكو خواءً روحياً ، وتفقد زاداً داخلياً ، وكانت طينتها قد اختمرت من الانتهازية والاستعباد ، وعُجنت طبيعتها باستغلال المواهب والقدرات ، فلا توجد فرصة من الفرص أو مناسبة من المناسبات إلا وتظهر فيها أنانياتها الشريرة ، ونزعاتها الخطيرة ، وهي تقضي على كل حرث ونسل ، وتأتي على كل رطب ويابس ، فلا يعيش إنسان في هذه السياسات مطمئن الفؤاد ، ولا هادئ البال ، ولا قرير العين ، ولا مثلوج القلب .

أرادوها جنةً ، فانقلبت جحيماً :

وقد ظهرت نماذج ذلك في عدة دول أوروبية وآسيوية ، جرت الانتخابات في المملكة المتحدة لعام ٢٠٢٤م ، وكان هناك حزبان : حزب

العمال الذي كان يقوده كير ستارمر ، وحزب المحافظين الحاكم بقيادة رئيس الوزراء السابق ريشي سوناك ، وكان يُتوقع أن الحزب الحاكم سيفوز بأرقام قياسية ، وتلحق بحزب العمال خسارة فادحة ، لكن أسفرت النتائج عن عكس ذلك ، فيقول المحللون : إن ريشي سوناك قد استعجل عن إعلان عقد الانتخابات قبل الموعد ، وكانت الانتخابات الماضية في شهر ديسمبر عام ٢٠١٩م ، لكن رئيس الوزراء السابق قد انزعج من غلاء الأسعار ، وخطة المغادرة العنصرية ، وصراعات داخلية في حزبه ، وفقد حزبه شعبيته العامة بأقضيته الجائرة ونظامه المستبد ، فكان يسوده كابوس فقدان الثقة الكاملة بحزبه ، ففض البرلمان قبل الوقت رغم اختلاف الزعماء المعارضين ، وقد جرت الانتخابات من ٢٢/ مايو إلى ٢٦/ يوليو ٢٠٢٤م ، وتم الإعلان عن النتائج في يوليو ، فكانت النتائج كما توقع الشعب نظراً إلى إجراءات ريشي سوناك التي صدرت خلال رئاسته للوزارة ، ونال الحزب المعارض من بين المقاعد الخمسين والست المائة نحو ٤١١ مقعداً ، وكانت النتيجة فوزاً ساحقاً لحزب العمال ، وأدى كير ستارمر اليمين الدستورية ، وأصبح رئيس الوزراء الجديد لبريطانيا ، ولـيعلم أن ريشي سوناك يرجع أصله إلى الهند ذات الحضارات المتعددة الجوانب ، الممثلة للوحدة في التنوع والتعدد ، لكنه خرق هذا المنهج ، وظهرت زمن حكمته بوادر وأمور مجحفة ، وقد خاض في قضية غزة خالعاً لباس الحشمة والوقار ، وقام بتمويل إسرائيل بالأسلحة الفتاكة والقنابل المدمرة ، بل إنه زار إسرائيل مرات عديدة جالساً في طائرة الأسلحة ، وهنّأ نتنياهو على مبادرته القاسية وضيّق الخناق في بلاده على المتظاهرين بغزة وأدخلهم في المعتقلات والسجون رغم أنهم من بني جلدته ، فاستاء منها الشعب، وأنزله من سرير العرش ، فلا بقاء ولا دوام لنظام لا يقوم على صالح الإنسانية ، وخير البشرية .

كذلك كان الوضع في فرنسا التي جرت انتخاباتها في زمن قريب من بريطانيا ، فإن الحزب الحاكم لم يكتسح الفوز المرجو الذي كان يتوخاه رئيس فرنسا إيمانويل ماكرون ، ولم يكن هناك موعد الانتخابات أيضاً ، وكانت هذه المدة تكتمل إلى عام ٢٠٢٧م ، لكنه أصدر قراراً رسمياً لإجراء الانتخابات من قبل ، واستعجل في حل البرلمان الذي كان يشتمل على ٥٧٧ مقعداً ، ففي المرحلة الأولى لحق بحزب

ماكرون فشل ذريع ، وكان حزبه في الدرجة الثالثة ، ولكن في المراحل الأخرى لم يتمكن كذلك من إحراز الأغلبية الساحقة ، فتكونت جبهة موحدة مكونة من أحزاب أخرى ، هنا ارتاع إيمانويل ماكرون من أشباح الأحزاب المساندة أنها إذا سحبت تأييدها انفض البرلمان ، ولا تستمر رئاسته ، الواقع أنه استعجل في إجراء الانتخابات ، فأصبحت غصةً في حلقه ، وحسرةً في قلبه ، وصدق الأديب الموهوب الأستاذ محمد الحسني رحمه الله في مقال له حينما قال : أرادوها جنةً ، فانقلبت جحيماً ، وقد سرى تيار اليأس والقنوط في اليهود ، وقالوا : لا مستقبل لليهود بعد هذه الانتخابات في فرنسا ، لأنهم ما رأوا من النتائج ما كانوا يرجون .

ليس كل بيضاء شحمةً :

جرت الانتخابات البرلمانية في الهند ، لعام ٢٠٢٤م من ١٩/ أبريل إلى ١/ يونيو ، وكان الحزب الحاكم يحكم الهند منذ مرحلتين مستمرتين ، وكان يدعي أنه سيفوز بأغلبية ساحقة في هذه المرحلة ، وينال أكثر من أربع مائة مقعد ، لكن نتائج الانتخابات حينما ظهرت ، فلم تتحقق له أمنيته المعسولة ، وانحصر الحزب في مائتين وأربعين ، واضطر إلى طلب المساندة والكُدية من الأحزاب الأخرى ، وقام المحللون بتحليل هذا الواقع المرير للحزب الحاكم ، فكان فحواه أنه قد ركز جل عنايته على القضايا الطائفية ، والأمور الهامشية ، ولم تعتن اعتناء ما إلى الفقر المدقع الذي استشرى في جميع شعب الحياة ، وأثار القضايا الطائفية في طول البلاد وعرضها ، ولم يتناول الشئون الأساسية التي تكون عموداً فقرياً للبلاد ، وأطبقت العيون عن الشباب المعاصر الذي يكون معقد آمال الناس في كل أمة ، فلم يجد المواطنون الراحة والاستقرار في هذه الحكومة ، وصوتوا في مراكز الاقتراع والتصويت ضد الحزب الحاكم ، فخابت مساعيه ، ولم ينجح في آماله التي كان يرجو تحقيقها منذ فترتين ، وعرف بنفسه أنه " ليس كل بيضاء شحمةً " .

الحق أبلج والباطل لجلج :

وليست أوضاع بنجلاديش ببعيدة عنا ، فإنها كانت على فوهة بركان قبل أيام ، وقد حكمتها رئيسة وزرائها السابقة شيخ حسينة البالغة من العمر ٧٦ عاماً ، وكانت هذه المرحلة لرئاستها مرحلةً خامسةً ،

وكان نظام الحكومة في زمنها جائراً ومستبداً ، وكانت مثالاً للظلم والاضطهاد على العامة والخاصة ، فقد أصدرت أوامر لإعدام عدد من العلماء والقادة الإسلاميين ، وضغطت أصوات الأحزاب المعارضة وقامت بتكميم أفواهها ، حتى زجت بأعضائها في السجون ، وكان الأمر على هذا ، إذ ثارت احتجاجات الطلاب ومظاهراتهم في بنجلاديش نحو تخصيص مقاعد في الوظائف الرسمية ، وامتدت الصراعات بين الحكومة والطلاب من أول يوليو إلى بداية أغسطس ٢٠٢٤م ، واشتعلت نارها ، وتأججت حتى ذهب ضحيتها حوالي ألف طالب كما أفادت الأنباء ، فاضطرت الرئيسة السابقة إلى تقديم استقالتها إلى من يهمهم الأمر ، ولاذت بالفرار إلى الهند ، وهي ما زالت حتى الآن في منفى .

وأما ما يجري على أرض فلسطين من ظلم واعتداء ، وقتل وتشريد من إسرائيل الغاشمة ، منذ سنة كاملة ، فليس بخاف على العالم الإنساني، فكما أن نتائج الانتخابات ظهرت خلاف ما تتصوره الحكومات، كذلك بدأت نتائج هذا العدوان السافر المدعم من الدول الأوربية بالأسلحة المدمرة والقنابل السامة تظهر على أرض فلسطين ، ويلوذ الاحتلال بالفرار ، ولم يحقق أهدافه التي بدأ لأجلها هذه الحرب الضارية، فأهلك الأطفال والنساء والمرضى ، ودمّر البيوت والمنازل وخرّب المشافي والمستوصفات إشباعاً لغرائزه، ولا يزال يخسر في كل الجبهات ، لأنه لا يقوم على أسس ثابتة ، بل يستمر عمله على الغطرسة والكبر والخيلاء والغرور الذي مقته الله تعالى مقتاً شديداً ، فزواله وانهزامه وانسحابه عن أرض غزة وفلسطين عاجلاً بإذن الله كالشمس في رابعة النهار ، وقال الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيُبلى بظالم

هذه بعض أمثلة على أرض الواقع ، يشاهدها كل من له بصير وبصيرة ، ولا تزال تتجلى أمثال هذه الأمثلة على مرأى ومسمع من الناس ، وهي برهان ساطع على أن لا قرار للباطل وإن كان مزركشاً ومزخرفاً ، فإنه غثاء كغثاء السيل ، وجفاء كجفاء الفيضان . فالحق أبلج والباطل لجلج . فليعتبر منها من يعتبر ، وينزجر منها من ينزجر ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . قال الله تعالى : (فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ) [الرعد : ١٧] .

(١) الدكتور الشهيد إسماعيل هنية إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

فقد العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه شخصيةً إسلاميةً عُرفت طول حياتها ببطولاتها النادرة ، وتضحياتها الجسام ، وهي شخصية الدكتور إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، وذلك باغتياله إثر غارة سرية في الساعة الثانية ليلاً في أحد فنادق جمهورية إيران ، بمناسبة تنصيب رئيسها الجديد في ٢/ محرم الحرام ١٤٤٦هـ ، المصادف ٣١/ يوليو ٢٠٢٤م ، ونُقل جثمانه إلى دولة قطر ، وصلي عليه في جامع محمد بن عبد الوهاب بحضور أمير قطر سمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني ، ووالده الموقر حمد آل ثاني حفظهما الله ذخراً للإسلام والمسلمين ، وتم دفنه في مقبرة الإمام المؤسس في منطقة لوسيل ، شمال الدوحة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الدكتور إسماعيل هنية من مواليد ١٩٦٢م ، في مخيم الشاطي بمدينة غزة ، حفظ القرآن الكريم وجوّده في صغر سنه ، ثم واصل دراسته في الجامعة الإسلامية بغزة ، وحصل منها على شهادة البكالوريس ، ثم نال منها شهادة الدكتوراه الفخرية عام ٢٠٠٩م ، وكان الدكتور إسماعيل رجلاً في أمة ، فكان قلبه مفعماً بالإيمان القوي ، والثقة بالله عز وجل ، بدأ حياته الجهادية منذ شرخ شبابه وارتبط أولاً بالكتلة الإسلامية التي كانت الذراع الطلابي للإخوان المسلمين ، وكان نشيطاً في أعماله الجهادية حتى سجنته السلطات الإسرائيلية ، فقضى مدة ثلاث سنوات في السجن عام ١٩٨٩م ، ثم أطلق سراحه ، فخاض في انتفاضة الأقصى بإيمان وحماس بالغين ، ثم رشح رئيساً لمكتب الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية ، فنال منه تربيةً دينيةً ، ولما فازت حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام ٢٠٠٦م ، فتولى منصب رئيس الوزراء إلى ٢٠١٤م ، ثم وفقه الله تعالى أن يكون رئيس المكتب السياسي لحماس منذ عام ٢٠١٧م إلى شهادته عام ٢٠٢٤م .

وكان من جمله السائرة التي ظلت على لسان كل عضو من أعضاء حماس : لن نعترف بإسرائيل ، لن نعترف بإسرائيل ، حتى قرض بعض الإخوة هذه الأبيات على هذا المنوال :

قال القائد إسماعيل ، هذا النهج ولا تبديل
لو خضعت كل الدنيا ، لن نعترف بإسماعيل

وكان يقول : نحن قوم نعشق الموت كما يعشق أعداؤنا الحياة ، ونحن نعشق الشهادة على ما مات عليه القادة .

كان الدكتور إسماعيل هنية قائداً بارزاً ، وسياسياً محنكاً ، ودبلوماسياً ألمعياً ، وكان يقود حماس بتجاربه الواسعة ، وخبراته السابقة ، وكان يحبه القاصي والداني ، وقد تمنى الشهادة في سبيل الله تعالى ، فتحققت أمنيته هذه ، وقبل ذلك نال عدد من أعضاء أسرته من البنين والأحفاد هذا الشرف في مدينة غزة بالذات .

ونحن إذ نعزي قادة حماس ، وأسرة الشيخ هنية ، وجميع أحرار العالم الإسلامي ، والمجاهدين البواسل ندعو الله تعالى أن يتقبل جميع ما قام به من جهد وجهاد في سبيل إعلاء كلمته ، ورفع رايته . قال تعالى : (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَـٰكِن لاَّ تَشْعُرُونَ) .

(٢) المفتي شكيل أحمد السيتافوري في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى المفتي شكيل أحمد السيتافوري في مدينة لكناؤ ، بالغاً من العمر ٧٦/ عاماً ، في ١٧/ محرم الحرام ١٤٤٦هـ ، المصادف ٢/ يوليو ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان المفتي شكيل أحمد القاسمي السيتافوري من بلدة تمبور في مديرية سيتافور ، أترابراديش ، درس الشيخ السيتافوري المرحلة الابتدائية والثانوية في عدة مدارس ، ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند ، فتخرج فيها عام ١٩٦٩م ، وتخصص في الفقه الإسلامي ، ثم قام بالتدريس في إحدى مدارس مظفر ناغر ، ومن هنا انتقل إلى دار العلوم بديوبند ، وظل منخرطاً في سلك التدريس لها منذ عام ١٩٧٢م إلى ١٩٨٢م ، حوالي اثني عشر عاماً ، وكان مدرساً جيداً ، وأستاذاً بارعاً ، يشرح المسائل العويصة بلغة سهلة جداً ، ثم قام بالتدريس في عدة مدارس أمثال دار العلوم الإسلامية بحيدر آباد ، ودار العلوم الإسلامية بمدينة بستي ، وغيرهما ، وكان رئيساً لمكتبة رضوان ببلدة تمبور لصاحبها الأستاذ المفتي محمد خبير الندوي الذي هو ابن عمه رحمه الله ، وعضواً لعدة مدارس وجامعات إسلامية ، وكان مما يتميز به بين العلماء بخطابته المؤثرة ، فكان يُدعى إلى الحفلات الدينية ، ورغم ذلك ألف عدة كتب ، منها : جوهرة السيرة ، والتقرير الحاوي في شرح البيضاوي ، وإسهام العلوم في شرح سلم العلوم ، وترجمة كتاب التصوير الفني في القرآن بالأردية .

كان الشيخ شكيل أحمد القاسمي يقضي حياةً مثاليةً ، في مدينة لكناؤ

مشتغلاً بالدعوة والإصلاح والتعليم والتربية ، إذ لبى نداء ربه في منزله في مدينة لكناؤ ، وصُلي عليه في مصلى لكناؤ ، بعيش باغ ، ودُفن في مقبرة عيش باغ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

غفر الله له مغفرةً تامةً ، ورفع درجاته ، وأنزله في جنات النعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٣) والد الأستاذ السيد هاشم نظام الدين الندوي البانكلي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ السيد نظام الدين بن السيد محي الدين الحسيني الباتكلي ، والد الأستاذ السيد هاشم الندوي ٩/ صفر ١٤٤٦هـ ، المصادف ١/ أغسطس ٢٠٢٤م عن عمر يناهز ٨٨ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ السيد نظام الدين الحسيني البهتكلي من مواليد مدينة بهتكل في شهر مارس عام ١٩٣٤م ، بمديرية كاروار في ولاية كرناتكا ، إنه درس العلوم العصرية ، لكنه ظل مشتغلاً بالتجارة والدعوة والإصلاح ، وكان رجلاً صالحاً متديناً ، وكانت له صلة تربوية بالشيخ محمد إقبال ملا الندوي ، والشيخ محمد غزالي الندوي ، والشيخ صادق الأكرمي الندوي ، وكان يقضي حياته على خلال من الإيمان والتقوى ، وقد ربى أولاده وبناته تربيةً صالحةً ، وزيّنهم بالعلم والتقى ، منهم الأستاذ السيد هاشم نظام الدين الندوي ، فإنه قد تخرج في جامعة ندوة العلماء ، ويشتغل الآن بالأمور العلمية والصحافية ، فهو مؤسس صحيفة فكر وخبر الإلكترونية ورئيس تحريرها ، وله علاقة قوية بعلماء ندوة العلماء ، فهو يزورهم ، ويستفيد منهم استفادةً كاملةً ، كما وفقه الله تعالى إلى أن يعمل في مركز جمعة الماجد بدبي ، بدولة الإمارات المتحدة العربية ، فهو يُعرف كباحث في الأوساط العلمية .

ونحن نقدم إليه تعزيةً قلبيةً على وفاة والده الجليل رحمه الله ، وندعو الله تعالى أن يرفع درجاته ، ويتغمده بواسع رحمته ، ويلهم نجلي الفقيد الأخ العزيز السيد هاشم الندوي والأخ الكبير السيد محسن وأسرته وأحفاده الصبر الجميل .

(٤) والدة الأستاذ زبير أحمد الندوي إلى رحمة الله تعالى

توفيت والدة الأخ العزيز زبير أحمد الندوي المدرس بكلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) في ١/ صفر سنة ١٤٤٦هـ ، المصادف ٧/ أغسطس ٢٠٢٤م عن عمر يناهز ٧٢ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة تُعرف باسم زبيدة خاتون ، وكانت مواظبةً على الصلاة والصوم وأداء الشعائر الدينية ، ولدت عام ١٩٥٢م ، وقد رزقها الله أولاداً صالحةً ، وهم خمسة أبناء ، فهم يدعون لها من صميم قلوبهم نحو مغفرتها ورفع

درجاتها ، وكانت الراحلة تنتمي إلى قرية برندا بجوار مدينة بليا بأترابراديش ، وكانت تعيش حياتها راضيةً بقضاء الله وقدره إذ جاء أجله المحتوم .

ونحن إذ نعزي الأخ العزيز زبير أحمد الندوي وجميع إخوته ندعو الله تعالى أن يغفر الراحلة الكريمة ، ويرفع درجاتها ، ويمطر عليها شآبيب رحمتها ، فإنه على كل شيئ قدير ، وبالإجابة جدير .

(٥) الأستاذ عبد الرحيم الندوي إلى رحمة الله تعالى

وصلت الأنباء الآتية من دار العلوم نور الإسلام بجلفا فور ، بمديرية سنسري نيبال أن الأستاذ عبد الرحيم الندوي توفي في ١٣/ محرم ١٤٤٦هـ ، المصادف ٢٠/ يوليو عام ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ عبد الرحيم الندوي من قرية بوتها بمديرية سنسري ، نيبال ، ووُلد عام ١٩٥٧م ، ودرس الثانوية في دار العلوم نور الإسلام بجلفا فور ، ثم غادر إلى دار العلوم لندوة العلماء ، واستفاد من أساتذتها الكبار ، خاصةً من سماحة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، وتخرج فيها عام ١٩٨٢م ، وبعد ما نال الشهادة عُين كمدرس في دار العلوم نور الإسلام ، وبالإضافة إلى ذلك يعمل في مكتب رئاسة دار العلوم بجلفا فور ، وسعد عدة مرات بالحج والزيارة للمشاعر المقدسة ، وترك وراءه عدة أبناء : خمس بنات وولدين ، وقد أصيب بأمراض ، فقدم استقالته إلى دار العلوم نور الإسلام ، وكان في منزله حتى لحق بالرفيق الأعلى .

غفر الله له ، وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وصفح عن زلاته ، وأكرم نزله مع عباده الصالحين .

(٦) الأستاذ إكرام الدين في ذمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة الأستاذ إكرام الدين أحد موظفي قسم التعمير والبناء لندوة العلماء في ١٨/ محرم ١٤٤٦هـ ، المصادف ٢٥/ يوليو ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ إكرام الدين من مديرية أررية بولاية بهار ، وقد درس في عدة مدارس ، ثم ارتبط بندوة العلماء قبل أكثر من عشرين سنة عام ١٤٢٣هـ ، وقد بلغ من العمر ٥٥/ عاماً ، وقد رزقه الله تعالى ثلاثة أبناء وبنتاً واحدةً ، وقد أصيب قبل وفاته بمرض السرطان ، فانتقل إلى رحمة الله تعالى ، وصُلي عليه في رحاب ندوة العلماء بعد صلاة الجمعة ، ودُفن في مقبرة دالي غنج .

ندعو الله تعالى أن يرحمه رحمةً واسعةً ، ويغفر له زلاته ، ويدخله فسيح جناته ، ويلهم أهله وأقاربه الصبر الجميل .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 70 Issue. No.09 Sep, Oct, 2024

إصدارات حديثة

(١) الاتجاهات الجديدة
في الحركة الأدبية في دولة قطر

تأليف

الدكتور قاضي عبد الرشيد الندوي

الناشر

مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، لبنان

(٢) حياة مولانا أبو الكلام آزاد
وتضحياته في تحرير وصياغة الهند الحديثة

تأليف

الدكتورقاضي عبدالرشيد الندوي

الناشر

كريتيو استار، ببلي كيشنز، جامعة نفر ، دهلي الجديدة (الهند)

(٣) الشيخ أبو الأعلى المودودي
العبقري الموهوب ومجدد القرن المنصرم

(مجموعة مقالات)

عربها وخرجها وعلق عليها

الدكتورقاضي عبدالرشيد الندوي

الناشر

دار ابن كثير

للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق

Mob: 0097455351210

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI